حبيبي

1187
١١٨٧

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

الحب المفقود

صادر عن دار م. النحاس

الحب المفقود

كانت سارة مارشال معلمة جيدة تشعر بالمسؤولية، وهي تعرف ذلك عن نفسها. فكيف يجرؤ السيد جيمس ماك أليستر على اتهامها بعدم الأهلية؟ كانت تعلم انها تعرف ابنته كاترين أكثر مما يعرفها هو في بعض النواحي ولكنه مع هذا، هددها بأنه سيسعى جهده ليمنعها من مواصلة التعليم. ثم أصر على ان ترافقه في رحلته البحث عن ابنته. كانت تريد العثور على كاترين ولكنها لم تشأ ان تكون قريبة من جيمس. ولكن هل يدوم هذا الشعور؟

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

لبنان: ٣٠٠٠ ل.ل - سوريا: ١٠٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار - مصر ٧ جنيه

52-87000-34707-5

ان لك عينين في رأست ابنتها المرأة، كان ينبغي ان ترى بواسطتهما ما الذي يحدث ويصنعه. ولا عذر لك ابدا رغم شهادتك الجامعية. اذ انه كان يجب عليك ملاحظة دلائل ذلك. لا بد أنه لديك خبرة بفتيات الخامسة عشرة الواتي يقعن في الحب حتى ولو لم تجربي ذلك بنفسك.»

ما كان لها ان تغضب من كلامه الخشن ذاك، اذ كان ينبغي لها تجاهله ورده الى قلقه الشديد على ابنته. ومع ذلك فقد شعرت سارة بطعنة مؤلمة. هل هذه هي نظرته ونظرة الآخر إليها؟ هل يرونها جميعا فتاة عانسا مسنة لا تعرف المشاعر الطبيعية؟ ربما كان مصيبا في هذه النقطة. ذلك انها امضت العشر سنوات الأخيرة في عزلة عن الحياة العامة. ولا بد ان ذلك ترك بصماته عليها.

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

الفصل الأول

تصاعد رنين الهاتف ملحاً قبل ان ترفع سارة السماعة وقد شعرت بالتوتر يتصاعد في داخلها. لقد سبق وقابلت جيمس مالك أليستر مرتين، ولكن ايا من تلك المناسبتين جعلتها تظن بأنه اقتنع بما اخبرته به. وان كان هذا لا يعني انها تلومه...

«مالك أليستر.»

كان الصوت خشنا عميقا، وكانت صلابته ملحوظة حتى خلال قرقعة الاتصال الهاتفي. وكانت سارة ما تزال تحتفظ له بصورة حية في ذهنها منذ قابلته لآخر مرة منذ ثلاثة اشهر. كانت عيناه القاتمتان في برودة الثلج، ووجهه النحيل يتجلى فيه غضب مكظوم... وشعرت برعشة تتملك جسدها. كان ينبغي لها ان تطلب من زميلتها السيدة اورنس ان تتصل به بدلا منها. ولكن شعورها بالواجب دفعها الى ان تقوم هي نفسها بهذه المهمة.

قال بنفاد صبر وقد بانت الخشونة في صوته: «نعم...»

وشعرت سارة بالدم يتصاعد الى وجنتيها اذ هي تدرك انها تجعل الأمور تزداد سوءا بتوكئها هذا.

قالت: «السيد مالك أليستر. هنا سارة مارشال تتكلم. لا ادري إذا كنت تتذكرني. انا معلمة ابنتك كاترين.»

قال: «انني اذكر ذلك، يا آنسة مارشال.» ولم تخفِ

نبرة الحدة في صوته، ذلك ان ما قالته له في ذلك الحين، لم يعجبه، كان واضحا انه لم ينس ذلك او يتسامح به. وعلى كل حال، لم يكن ثمة مجال لذكر هذا الآن، وتابع: «هل حدث شيء ما جعلك تتصلين بي؟»

فقالت بتوتر: «انني... انني...» ما الذي جعلها تبدو بهذا التوتر، لقد اعتادت التعامل مع التلامذة وآبائهم دوما... ولكن، ما ان يتكلم اليها اليد مالك البستر، حتى تتلعثم كأي مراهقة وليس كامرأة ناضجة في الثلاثين من عمرها تقود بعمل بالغ المسؤولية. وأسرعت تقول وقد تملكها الغيظ من نفسها، وهي تلاحظ نفاد الصبر الذي بدا في لهجة الرجل الذي كان يكلمها: «أسفة لأن اقول ان كاترين قد اختفت يا سيد مالك البستر.»

فقال: «اختفت؟ ماذا تعنين بذلك؟ من المفروض ان تكون الآن في رحلة مدرسية الى فرنسا!»

تنفست سارة بعمق تهدئ، من اعصابها وهي تقول: «كان من المفروض... أعني هي الآن في هذه الرحلة. انني احدثك من باريس.»

قال: «اذن اخبريني بالضبط عما حدث هناك، فانا لم اسمح لابنتي بالقيام بهذه الرحلة، لكي تضيعها.»

قالت: «انني لم اضيعها، ولم تقم بشيء خارج عن البرنامج المقرر للرحلة.»

كان مضطربا جدا، ولم يكن لها الحق في ان تشعر بالاستياء من جفائه وتصرفه الاستبدادي وهو يطالبها بالجواب. انها حساسيته المفرطة التي تعرفها عنه.

قالت: «كنا في متحف اللوفر، انا والسيدة لورنس والآنسة جاكوبس والفتيات، عندما افتقدنا كاترين... حسنا، لقد اختفت كاترين.»

قال: «لم يختف احد يا آنسة مارشال.. لا بد أنها اضاعت طريقها في مكان ما.. هل بحثت عنها؟ ربما هي نفسها تبحث عنكم الآن.»

اجابت: «لقد امضينا ساعتين في البحث عنها يا سيد مالك البستر، وقد شاركنا في ذلك الحراس المناوبون ذلك الحين، صدقني اننا لم نجدها في أي مكان.»

ربما لم يكن لها ان تكلمه بذلك الحدة، ولكن هل من حقه ان يظنها حمقاء بهذا الشكل؟ ألا يكفيها ان كاترين قد اختفت وربما اسوأ من ذلك كما شاع فيما بعد، حتى يعاملها هو كامرأة غبية معتوهة؟ حسنا.»

عاد هو يقول: «إذن، فانكم لم تجدوها في اللوفر، هل بحثتم عنها في مكان آخر؟ هل رجعتم الى الفندق يا آنسة مارشال، او الى أي مكان قد تكون ذهبت إليه لتفتش عنكم فيه؟ ليست ابنتي من ذلك النوع من الفتيات اللواتي يتصرفن من أنفسهن بهذا الشكل.»

قالت: «اشك كثيرا في انك تعرف تماما أي نوع من الفتيات هي ابنتك، يا سيد مالك البستر، وربما هذا هو أساس المشكلة.»

لم يكن لها ان تقول ذلك، وقد ساورها الندم حالما أفلتت هذه الكلمات من شفتيها، ولكن، فات الوقت لاسترجاعها، اشتدت قبضتها على السماعة وهي تنتظر رد فعله.

www.rewity.com MAYAHEEN

وما لبث ان سمعت صوته الناعم يصيح بها: من تظنين نفسك لتسمحي لنفسك بان تصدري مثل هذا الحكم؟ انني أدفع الى المدرسة التي تعملين فيها اموالا طائلة، لكي تحصل ابنتي على ثقافة جيدة. ولكنني لم اتوقع ان تحكم عائلتك على علاقتي بابنتي بينما هي لا تفقه شيئا عن الطريقة التي تفكر فيها فتاة حديثة السن.»

قالت بحدة: «كيف تجرؤ... يا سيد مالك اليستر، لا بد ان اشكو إلى...»

قاطعها بخشونة: «انني بصراحة، لا يهمني مطلقا من تشكينني إليه، يا انسة مارشال، ان ما يهمني حاليا هو ابنتي والذي جرى لها. اظنك قمت بإبلاغ الشرطة.»

قالت: «طبعا. ولكنهم اقترحوا بالنسبة الى الظروف، ان انتظر يوما او نحو ذلك قبل ان يقوموا بتحرير محضر تحر عن شخص مفقود.»

قال: «ظروف؟ أي ظروف؟ لقد اختفت كاترين وساتحملك كل المسؤولية في حال حدوث أي مكروه لها، نتيجة عدم اهليتك في تحمل المسؤولية. والآن اريدك ان تذهبي حالا الى دائرة الشرطة لتخبريهم انني اريد ان يعثروا على ابنتي الآن.»

قالت: «اظن ان من الافضل ان تدعني انتهي من علامك بما حدث يا سيد مالك اليستر. ثم اخبرني بما كان يجب علينا ان نقوم به اكثر من ذلك. اظن ان اختفاء كاترين ليس تماما بالشكل الذي بدا عليه. ذلك انني عندما رجعت الى الفندق وجدت ورقة تركتها لي في غرفتي.

تقول فيها انها هربت مع فيليب وان لا اقلق عليها.»

فقال: «فيليب؟ من هو فيليب هذا، وما الذي تريدين قوله، يا انسة مارشال؟»

اجابت: «فقط، اريد ان اقول ان كاترين لم تُفقد كما انها لم تختطف. لقد هربت مع أحد الخدم في الفندق. فهل فهمت الآن لماذا الشرطة تباطأت في القيام بعمل حازم للتفتيش عنها؟ لقد اخبروني انه كثيرا ما يراجع الهاربون مثلها افكارهم، ليعودا ما من تلقاء انفسهم.»

فقال: «هربت؟ تريدين ان تقولي انك سمحت لابنتي بان تهرب مع احد الخدم في الوقت الذي انت مسؤولة عنها فيه؟ يا للهول، ايتها المرأة لا بد انه سبق لك علم بما كان يحدث. الم يكن في استطاعتك التصرف لتمنعي هذا؟»

ردت: «في الحقيقة ان الامر ادهشني بقدر ما ادهشك انت. لم تكن لدي فكرة عن ان كاترين كانت.. قد تكلمت مع ذلك الفتى اكثر من بضع كلمات تتعلق بعمله.»

كان غضبه بالغا شعرت به عبر الخط. وحاولت هي عبثا ان تهدىء من الوضع. ولكن لم يكن ثمة شيء في إمكانه ان يخفف من غضب جيمس مالك اليستر كما يبدو.

عاد يقول: «ان لك عينين في رأسك ايتها المرأة. كان ينبغي ان ترى بواسطتهما ما الذي يحدث وتمنعيه. ولا عذر لك ابدا رغم شهادتك الجامعية. اذ انه كان يجب عليك ملاحظة دلائل ذلك. لا بد انه لديك خبرة بفتيات الخامسة عشرة اللواتي يقعن في الحب حتى ولو لم تجربي ذلك بنفسك.»

ما كان لها ان تغضب من كلامه الخشن ذاك. اذ كان ينبغي لها تجاهله وردّه الى قلقه الشديد على ابنته. ومع ذلك فقد شعرت سارة بطعنة مؤلمة. هل هذه هي نظرته ونظرة الآخر إليها؟ هل يرونها جميعاً فتاة عانساً مسنة لا تعرف المشاعر الطبيعية؟ربما كان مصيباً في هذه النقطة. ذلك انها امضت العشر سنوات الأخيرة في عزلة عن الحياة العامة. ولا بد ان ذلك ترك بصماته عليها.

عاد هو يقول:«ان امراً كهذا هو، بطبيعة الحال، شيء تسويقه فوق مستوى مقدرتك. وسأتي انا في اول طائرة.»

كانت سخريته لاذعة. ولكنها ردت عليه بحدة:«وهل تريد مني ان اعاود الاتصال بالشرطة في هذا الوقت؟»

قال:«طبعاً. اذ إنه مع وجود الورقة التي تقولين عنها يا انسة مارشال والتي ارجو ان تكون صحيحة، فإن ذلك لا يغير من الامر شيئاً. اذ ان ابنتي تعتبر مفقودة. انني اريد من الشرطة ان تجدها وتعيدها إلي.»

قالت:«ان كاترين ليست طفلة. فهي في السادسة عشر تقريباً.»

اجاب:«انني اعلم كم عمرها. كذلك اعلم انه لا توجد قوة على الارض تجعلني انتظر مكتوف اليدين، بينما فتى حديث يستغلها لغرض في نفسه.» وخبط السماعة قاطعاً الاتصال.

فعلت سارة مثله وهي ترتجف. انها متفهمة تماماً

لمشاعره ولكن هل كان يجب ان يكون بهذه الفظاظة؟ اغمضت عينيها وهي تشعر بصدغيها يخفقان لشدة التوتر. يجب ان تستعيد توازنها قبل ان تأتي بقية المجموعة. إذ عليها ان تخبرهم بطبيعة الحال. إنما يجب ان تخفف من حقيقة الامر قدر استطاعتها. ولو كان في استطاعتها حفظ هذا الأمر سراً بينها وبين والدها السيد مالك البستر. لكان ذلك افضل. ولكن لا أمل في هذا والمسكينة كاترين ستكون مثاراً للشائعات والأقاويل عندما تعود الى المدرسة... هذا إذا سمح لها والدها بالعودة الى المدرسة عندما تنتهي هذه المشكلة وهذا امر مشكوك فيه. لقد بدا وكأنها يعتبرها هي المسؤولة عما جرى لابنته. وربما كان ذلك صحيحاً في بعض النواحي. لقد حاولت ان تنذره منذ شهور بمدى شعور ابنته بالتعاسة. ولكنه رفض ان يستمع إليها. كان عليها ان تجتهد في إقناعه ولكن هل تراها كانت ستنجح في ذلك وقد عرفت الآن رأيه الحقيقي فيها؟ وهو انها عانس كبيرة السن؟

نهضت سارة. ومشت نحو المرآة المعلقة فوق المدفأة لتتأكد من قسوة هذا الحكم. ولكن المرآة لم تعرض عليها ما يعزيها. فبشرتها الشاحبة وعيناها الزرقاوان الرماديتان وشعرها البني الخفيف المضموم الى الخلف عند اسفل رقبتها. كل هذا اعطى صورة صادقة لمعلمة عانس. حتى ان ملابسها كانت قريبة من هذه الصفات ايضاً. فقد كان قميصها المقفول الى العنق يبدو مفتقراً

الى الاناقة مع بدلتها الكحلية. ماذا لو تلاحظ من قبل كيف ابتدأت تكبر في السن؟ ما اشد إيلام هذه الحقيقة.

لقد كانت تنظر الى نفسها في المرآة يوميا، لتصطدم فجأة بحقيقة مرور سنين كثيرة. منذ كانت المرآة تعكس لها وجها ضحوكا محاطا بخصلات شعرها المجعدة. لقد بدت في ذلك الحين فتاة مختلفة، سعيدة خالية من المسؤولية.. ثم وقع ذلك الامر الذي غير حياتها بشكل مأساوي.

ابتعدت عن المرآة وهي تحاول ان تصرف ذهنها عن ذلك الالم الحاد الذي اعتاد ان يرافق تلك الذكرى.

لكن الماضي لا يعود. كما ان ما حدث قد حدث وانتهى ولن يتغير. ومنذ عشر سنوات، استجمعت شتات نفسها والالم يكتنفها، لتتوجه في الطريق الذي انتهت اليه حياتها اليوم. وليس ثمة شيء يمكنه ان يغير ذلك الآن.

كانت الفتيات راقدات في اسرتهن وكان الفندق هادئا. رفعت سارة فنجان القهوة واخذت منه رشفة وقد شعرت بالراحة والهدوء بعد طول قلق واضطراب. لقد سرى القلق بين الفتيات حين علمن بما حدث بالنسبة لكاترين. وامضين المساء بطوله يتناقشن عن المكان الذي يمكن ان تكون فيه، الى ان كادت سارة تفقد اعصابها فصرخت بهن ان يتوقفن عن ذلك. وعندما حان وقت رقادهن أحست بالراحة لذلك، خصوصا عندما عزمت المعلمتان الاخيرتان على الذهاب الى الفراش هما ايضا. ولم تكن

هي متشوقة الى اجتماعها المقبل بالسيد جيمس مالك اليستر، بل كانت تفضل لو مضت الامور دون حضور احد، خصوصا إذا هو اختار ان يكرر نعوته السابقة لها.

وضعت فنجان القهوة من يدها لتقفز واقفة بعد ان سمعت صوت باب سيارة في الخارج وقد تسارعت دقات قلبها. ولكن القادمين كانا نزيلين في الفندق، فعادت تجلس على كرسيها وهي توبخ برأسها ترد تحيتهما بأدب وهما يمران بقاعة الجلوس. اين السيد مالك اليستر إذن؟ لقد اخبرها انه سيستقل اول طائرة وكان ذلك منذ ساعات. ان تأخره هذا لن يحسن كثيرا من ضياعه السيئة.

بقيت سارة في قاعة الجلوس ساعة اخرى، ولكن عندما دقت ساعة الحائط الثانية عشرة، ادركت ان هذا يكفي، فقد كانت متعبة واهنة القوى بعد ذلك اليوم الحافل، عدا عن الجهد الذي بذلته في رعاية دزينة من فتيات في الخامسة عشرة طوال الاسبوع الماضي، فهي بحاجة الى قليل من النوم. سواء كان السيد مالك اليستر راضيا ام حانقا وستترك ملحوظة له عند الموظف الليلي بأنها ستراه في الصباح.

وفي غرفتها خلعت سترتها وعلقتها على المشجب، ثم تنورتها وقميصها. وكانت تتمنى حماما ساخنا في هذا الوقت لو ان الفندق يوفر مثل هذه الرفاهية في غرف النزلاء، ولو ان الرحلة لا تمر عبر القاعة الى الحمام العام مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل. وكان عليها

WWW.rewity.com ARABEENA

أن تستفيض عن ذلك بغسل سريع في حوض غسل الأيدي في غرفتها.

ملأت الحوض وابتدأت تغسل يديها عندما قرع باب غرفتها. تمتمت بضيق وهي تترك الصابونة في الحوض ونظرت حولها تبحث عن ردائها المنزلي. لتشهق مذهلة وهي ترى الباب يفتح ويدخل منه السيد جيمس مال ايستر. سألها وهو يقف عند الباب: «حسنا. أليس ثمة خبر عن كاترين حتى الآن؟»

كان يحدق في وجهها الذاهل بعينين في برودة الثلج. وشعرت سارة برعشة من خوف تشمل جسدها. وصرخت فيه: «اخرج. ما الذي تظن انك تفعله ان تقف هنا تحقق معي بهذا الشكل؟ اخرج حالا.»

مدت يدها تلتمس المنشفة التي ما لبثت ان سقطت من بين اصابعها المرتجفة.

دخل وأغلق الباب خلفه وهو يقول: «انني لن اذهب الى أي مكان يا آنسة مارشال.»

ابتسم هو برى عينيها المتسعتين واستطرد: «انني آسف لخروجي عن الحشمة في نظرك. ولكن هذا الوقت ليس وقت الاهتمام باللياقات. اعني الوقت الذي تكون فيه ابنتي مفقودة.»

قالت: «ان اختفاء كاترين لا يعطيك الحق في ان تدخل غرفتي. اخرج قبل ان أنادي موظف الفندق ليلقي بك خارجا. ليس ثمة عذر لهذا النوع من السلوك. ان هذا كثير يا سيد مال ايستر.»

احمر وجهه وقال ثائرا: «هذا كثير؟ كلا. ان الكثير حقا هو سماحك لابنتي بأن تهرب مع فتى خليع.»

توترت عضلات وجهه وهو يقول ذلك، وأطبق شفتيه بصرامة. كان يملك من القوة الجسمانية برغم نحافته الظاهرة. وكان شعره قريبا من السواد وقد لوحت الشمس بشرته. بدا خشنا وعدوانيا وهو يقف محدقا إليها. شعرت هي بالاضطراب والقلق وفي نفس الوقت كرهت نفسها لمشاعر الخوف هذه.

قالت: «لم يسمح احد لابنتك بأن تهرب. انها هي التي ارادت ذلك. أما قولك ان فيليب هو فتى خليع.» وتنفست بغضب وتابعت: «بصراحة يا سيد مال ايستر لا أظن ان عندك فكرة عما تتكلم عنه. على كل حال، لن اطيل الحديث في هذا الموضوع حاليا. انني منفهمة لمشاعرك ولكن حتى هذا لا يعطيك الحق في هذا السلوك الذي لا يغتفر. فهل تسمح بأن تخرج من الغرفة حالا؟ سنتابع حديثنا هذا في قاعة الجلوس بعد ان ارتدي ثيابي.»

قال: «بصراحة يا آنسة مارشال لا يهمني حتى ولو كنت عارية تماما. كاترين وحدها هي التي تهمني. وإذا كنت تظنين انني سأؤخر حديثنا في هذا الموضوع، فانت مخطئة. لقد اضعت وقتا كافيا حتى الآن. وشكرا للمواصلات الجوية التي اختارت هذا اليوم لكي تعتمد نظام التنقلات الجديد.» وألقى نظرة على جسدها المشوق الذي لا يستره سوى حمالة صدر وتنورة. ليستدير ويأخذ من على كرسي قريب رداءها المنزلي

ثم بناولها اياه قائلا: «ارتدي هذا إذا كان ذلك يريح شعورك. ثم نجلس معا ونتحدث في هذا الامر الهام بدلا من شتائمك المتطلقة بالحشمة.»

اخذت سارة الرداء منه لترتديه وقد تورد وجهها من لهجة الازدراء في صوته العميق. وحملت نفسها على ان تواجه نظراته الباردة بينما كانت تربط الحزام حول خصرها وهي تتمنى لو ابطأت خفقات قلبها. وما لبثت ان شعرت بالارتياح بعد ان ارتدت الرداء. ولكنها لم تستطع التخلص من موجات الخوف والغضب التي تنتابها. بعد ان تذكرت اخر مرة وقف فيها رجل في غرفة نومها لمواجهتها بعينين غاضبتين.

سألها: «هل معك الرسالة التي تركتها كاترين لك؟»

اعادها صوته الى واقعها الحاضر. ودون ان تتكلم استدارت الى احد ادراج خزانتها لتأخذ الرسالة ثم تناوله اياها. قرأها بسرعة ثم طواها قبل ان ينظر اليها من تحت حاجبيه المقطبين. وهو يقول: «وماذا قالت الشرطة في شأنها؟ طبعا باعتبار انت أريتهم اياها.»

تجاهلت ملاحظته اللاذعة تلك وهي تقفل الزر الاعلى لردائها وقد اشعرتها نظراته المتفحصة بالضيق. وقالت: «هذا طبيعي، على كل حال. يبدو ان نظرتهم الى الامر اصبحت ايجابية، بحيث انه لم يعد ينبغي علينا ان نقلق كثيرا. حيث ان كاترين قد ذهبت مع فيليب بكامل مشيئتها.»

قال وقد تجهم وجهه: «بكامل مشيئتها؟ انها ما تزال

طفلة. فهي اصغر من ان تدرك الذي تفعله.» واشتعلت عيناه غضبا وهو يقول ذلك. تراجعت سارة من دون إرادة. ما زالت تلك الذكريات تراودها. تلك الذكريات القاتمة المريرة التي تكمن في اعماقها. لقد كانت من قبل. تعيش معها ليلا نهارا. تعيش وتتنفس الكوابيس. ولكن مرور الزمن خفف من مخاوفها. فاستطاعت ان تختزنها في أعماق عقلها الباطن. والان فتح غضب جيمس مالك أليستر الباب لتتسرب هذه الذكريات عائدة إليها ببطء. وارتجفت بشكل واضح في محاولة للتخلص منها. وقالت: «ان هذا لا يوصلنا الى شيء. يا سيد مالك أليستر. لقد اخبرتك بما قالته الشرطة. ولكن هذا لا يعني انني اوافقهم على ذلك. ان كاترين هي طبعا، اصغر من ان تقرر امرا كهذا. ولكن، عليك ان تتفهم وجهة نظرهم. ان فيليب لم يختطف ابنتك، بل ذهبت هي معه بإرادتها. وهذا واضح من هذه الرسالة.»

فقال: «احقا؟ انت تقرأين الافكار، أليس كذلك؟ ويمكنك ان تعلمي بماذا كانت ابنتي تفكر وهي تكتب هذه الرسالة.» وأعاد إليها الرسالة وهو يقترب منها. الى حد شعرت سارة معه بحرارة جسده القوي، وشمت رائحة الصابون الملتصقة بجسده. وتراجعت بحركة سريعة رآها هو. تابع: «ما الذي جرى لك؟ انك تقفزين كالهرة.» ومد يده ليمسك بها. كانت اصابعه وهو يمسك بذراعها صلبة باردة.

ابتعدت سارة عنه بسرعة وهي تقول بلهجة آمرة: «لا

تلمسني.» وتوتر جسمها إزاء لمسته الخفيفة لذراعها. فحدق فيها طويلا بصمت ثم رفع يده عنها، وقال: «لا تقلقي، ليس عندي النية في ان المسك مرة أخرى، سأركز اهتمامي على ابنتي فهي الوحيدة التي تحتاج لذلك.» استدار مبتعدا نحو النافذة وقد حنى ظهره، أزاح الستارة عن النافذة ومضى ينظر منها الى الخارج، وهو يقول: «لديك فكرة عما انا في سبيله يا انسة مارشال؟ وهل تهتمين لذلك؟ هل تعتبرين اختفاء كاترين شيئا لا يخرج عن كونه حدثا اربك حياتك الهادئة؟»

اجابت: «هذا ليس صحيحا. ذلك انني قلقة فعلا على كاترين. فهي واحدة من افضل تلميذاتي.»

لقد استطاعت الآن ان تتنفس بارتياح بعد ان ابتعد عنها. واستطاعت ان تتمالك روعها وتتخلص من الخوف الذي كان على وشك ان يتملكها. انها امرأة ناضجة الآن ولم تعد تلك الطفلة او الصبية لتخاف او ترتبك. ومهما شعور جيمس ماك أليستر نحوها الآن، فهو لا يمكن ان يكون رغبة بأي حال.

قال: «واحدة من افضل تلميذاتك؟.. ما اروع هذا!! هل هذا كل ما تعنيه ابنتي بالنسبة إليك يا انسة مارشال؟ انك تدهشينني. لقد خلقت عندي طريقتك في عرض آرائك مؤخرا، فكرة ان كاترين كانت تعني لك شيئا اكثر من مجرد تلميذة. وأنك ربما كنت تعملين لخيرها وسعادتها.» وبدا على وجهه الازدراء والبرود.

استقامت في جلستها لتقول: «من الطبيعي ان اهتم

لذلك فهي فتاة جميلة جدا. وقد ساورني مؤخرا احساس عميق بأنها كانت تشعر بالتعاسة لسبب ما. وهذا هو السبب في أنني حاولت ان اتحدث إليك بشأنها. ولسوء الحظ تجاهلت هذا الانذار ليحدث الآن هذا الأمر.»

ارتسمت على شفتيه ابتسامة متوترة ساخرة وقال: «أوه، كلا... هذا مجرد عذر تتسترين وراءه يا انسة مارشال.»

توترت مشاعر سارة وهي تقول: «عذر.. أتستر وراءه؟» «لو انه، فقط يترك كل هذا الى الصباح لتكون قد ارتاحت قليلا واصبحت مهيأة للمناقشة. لقد كانت اكثر إرهاقا من ان تستطيع فهم ما يعني.

أجاب: «اذن تحاولين إلقاء اللوم عليّ. لقد كنت انت المسؤولة عن كاترين اثناء وجودها هنا. لقد كانت في عنايتك عندما اختفت. انت التي فشلت في رؤية ما يدور تحت أنفك. وعليك انت يقع اللوم يا انسة مارشال وليس عليّ. لقد وضعتها أمانة عندك فلم تحفظي الأمانة.»

وقفت سارة وهي تهز رأسها لترجع خصلات من شعرها افلتت من الشريط الذي يربطها. وهي تقول: «هذا كلام غير صحيح وغير عادل.»

لقد غاظها ان تراه يحاول ان يجعل منها كبش الفداء يواري خلفه تقصيره، عندما حاولت جهدها تحذيره من ان ثمة خطأ ما. وذلك منذ اشهر. وقالت: «ان السبب الوحيد الذي دفع كاترين الى هذا التصرف الغريب عن طبيعتها، هو قلة اهتمامك يا سيد ماك أليستر. كم

www.rewity.com
RAYAHEEN

من المرات كلفت نفسك زيارة ابنتك السنة الماضية؟ كم من المرات كلفت نفسك كتابة رسالة إليها اثناء احدى رحلاتك العديدة الى الخارج؟ فإذا كان ثمة احد يقع عليه اللوم لاختفاء كاترين، فهو انت. لتصرفاتك الخالية من الشعور نحوها.»

قال «انني رجل اعمال يا انسة مارشال، وطبيعة عملي تستدعي ان اسافر دوما الى الخارج. وكاترين تعرف هذا. فالسبب الوحيد لإرسالها الى مدرستك الداخلية هو، عدم استطاعتي توفير حياة منزلية مناسبة لها.»

كان الغضب يبدو في صوته العميق.

لم يتملك سارة الخوف، وإنما اغضبها ان تراه يتملص من المسؤولية تجاه هذا الأمر. قالت «المدرسة الداخلية ليست بديلا من البيت السعيد. انني اتفهم صعوبة وضعك، ولكن كاترين بحاجة الى الشعور بأنك موجود دوما عندما تكون بحاجة إليك. وعليك ان تهتم بهذا! قد يكون في امكانك دفع تكاليف تعليمها ولكن ليس في استطاعتك ان تدفع ثمن ما كان يتوجب عليك ان تعطيها. وهو الحب.»

قال «انك لا تعلمين شيئا عن طبيعة علاقتي بابنتي. لقد كانت دوما في منتهى السعادة الى هذه السنة بعد ان سقطت تحت تأثير نفوذك. لا ادري ما هي الافكار التي كنت تغرسينها في رأسها. لم يكن ثمة مشاكل بيني وبين كاترين حتى السنة الماضية. فجأة امتلأت رسائلها بأمثال عن هذه الأمور، تقول الانسة مارشال. او عندما

كنت اتحدث الى الآنسة مارشال... أي نوع من الطرق تستعملين نفوذك على طريقة تفكيرها؟» وسكت يتمعن في وجهها عابسا. وسادت دقيقة صمت. وعندما عاد الى الكلام كان صوته رقيقا ناعما «هل في حيلة منك للوصول إلي عن طريقها؟»

قالت وقد توقفت انفاسها ونظرت إليه مندهشة «ليس... ليس عندي فكرة عما تعني.»

ابتسم ببطء، عابرا الغرفة ليقف في مواجهتها قائلا «احقا؟ انني اعجب للسبب الذي جعلني لا اكاد اصدق هذا.» وأطلق ضحكة خفيفة وهو يراقب ارتعاش جفنيها قبل ان تغمضهما، لكي تحمي عينيها من تفرسه الغريب المقلق الذي بدا وكأنه يغوص في أعماق روحها. وتابع يقول «لقد اتهمت هذا الصباح بأنك عاشر من دون مشاعر، ولكن يظهر ان فكرتي هذه كانت خاطئة.»

قالت «ليس عندي فكرة عما تتحدث يا سيد مال ألستر. وبصراحة ليس عندي رغبة في معرفة ذلك، فهذا يثير السخرية.» وحاولت ان تبتعد عنه، ولكنه امسك بذراعها بقوة منعتها من الابتعاد.

قال «احقا؟ ربما الأمر ليس كذلك. ان الحياة مليئة بالمفاجآت الصغيرة يا آنسة مارشال. وأنت تعلمين هذا. لقد قلت انك ربما كنت كذلك... هل اقول انك انجذبت إلي بشكل مفاجئ؟»

اجابت وهي تلوي ذراعها وتحاول التخلص منه «انجذبت إليك؟ كلا...»

فجأة وقد يئست من التخلص من قبضته، جذبها الى قربه وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة، وهو يقول:«كلا؟ مع ان ذلك يمكن ان يفسر امورا كثيرة، أليس كذلك؟ الطريقة التي تصرفت فيها في آخر اجتماع لنا، إصرارك على مقابلتي لك شخصيا بشأن كاترين بينما كان الامر، من وجهة نظري، لا يستحق ذلك. وعندما افكر الآن في ذلك، ادرك انه كان دوما هناك نوع من التوتر بيننا. عندما نتحدث معا يا آنسة مارشال. لقد كنت أرجع ذلك، في الماضي، الى نفورك العميق من الرجال جميعا. ولكن، ربما كان حكمي هذا باطلا. ذلك ان الوعي الحسي هو شعور في منتهى القسوة. وفقدانه، كما يبدو عليك، يدفع الانسان الى القيام بتصرفات بعيدة عن الواقع وأحيانا غريبة جدا.»

قالت:«كلا... كيف تجرؤ؟ ذلك انه إذا كان قد حصل بيننا شيء من التوتر اثناء اجتماعاتنا في الماضي، ربما كان ذلك مستمدا من عدم الرضا من ناحيتي على الطريقة التي تعامل بها ابنتك.»

كانت تجهد يائسة في سبيل إقناعه، ولكن بالرغم من ان نظرة حادة تألقت في عينيه إزاء كلماتها الجارحة، إلا ان ابتسامته الساخرة لم تتغير وهو يقول:«هل الامر كذلك حقا؟ لا بد انك خلال السنوات التي امضيتها في التعليم، قد عرفت آباء شعرت بأنهم لا يولون ابناءهم العناية الكافية. فهل اجريت مقابلات معهم بهذا الشأن، عن دون أي شعور بالتوتر بينك وبينهم يا آنسة مارشال؟

وهل ينتج عن ذلك نفس شعور الكراهية نحوهم ايضا؟»

وهز رأسه وهو ينظر في عينيها المتسعتين وهو يتابع:«لا اظن ذلك.»

قالت:«لا يهمني ما تظنه يا سيد مان. كيف تجرؤ على دخول غرفتي لكي تتهمني بمثل هذه...» سكتت وقد تضرج وجهها وهي تحاول عبثا ان تصوغ تلميحاته في كلمات.

ولكن لم يبد عليه انه يعاني من مثل ترددها وهو يقول رافعا حاجبه متسائلا بأدب:«هل تمثلين دورا لاجتذابي؟»

ولكن أدبه الظاهر هذا لم يخدعها. ذلك انه لم يكن في سلوك جيمس أي مجال للتهذيب او التمدن. لقد كان رجلا خطرا. وقد عرفت هذا عنه منذ اول اجتماع بينهما. هل كان هذا هو السبب في التوتر الذي تشعر به كلما اجتمعت به؟ ربما. ويبدو انه شعر بهذا الامر عنها فأخذ يفسره بمعنى لم تقصده هي قط.

تنفست بعمق وهي ترغم نفسها على النظر الى عينيه القاتمتين الماكرتين، قائلة برصانة:«انني لا امثل عليك دورا. انني احتقر كل ما تعتقد به. وإذا شئت الحقيقة، فانني ايضا، احتقر الطريقة التي تسير بها في حياتك دون اعتبار لما تؤثر به تلك الطريقة على ابنتك.»

قال:«هل هذا صحيح؟ ان هذا يصعب علي تصديقه وأنا أزن الأمور. انني لست رجلا مغرورا، ولكنني رجل واقعي يا آنسة مارشال. ولقد اعتادت النساء مطاردتي لأسباب كثيرة وأهمها انني ارمل جميل المظهر ولا بأس

بثروتي. ولكنني يجب ان ادلي بحقيقة قد تجعلك تقفزين دهشة، وهي انني لم اعتبرك قط بشخصيتين. ولكن بطبيعة الحال قد تكون المظاهر خداعة ألا تظنين ذلك؟ فقد رأيت فيك مظاهر العزباء التي تبالغ في التمسك بالحشمة اكثر مما يستلزم الأمر.»

اشتد ضغط اصابعه على ذراعها وهو يجذبها نحوه متابعا قوله: «اظنني يجب ان اشعر بالسرور لشعورك هذا نحوي. ولكن افكاري تنحصر الآن في ما يمكن ان يكون قد جرى لكاترين. دعينا إذن ننتهي من هذا الامر الآن. أليس كذلك؟»

سألت: «ماذا تعني بذلك؟ إسمع ان هذا... آوه.» وماتت الكلمات على شفتيها وهو ينحني ليقبلها. وأخذت تضرب كتفيه بقبضتيها قبل ان تغرز اظافرها بوحشية في جانب وجهه.

شتمها بخشونة ثم دفعها عنه وقد اسود وجهه من الغضب. ولكنها لم تهتم بشيء ولا بما قد يظنه فيها.

اخترق الصمت الذي ساد جو الغرفة، صوتها المتحشرج صارخا: «اخرج من هنا.»

قال وهو يمسح الدماء عن وجهه: «انني خارج. ولكن هذا الأمر لم ينته بيننا بعد، يا سارة مارشال.» نظر إليها بحدة وهي تقف أمامه ترتجف وتابع: «لا يوجد ثمة شخص طبيعي يتصرف بهذا الشكل. انني لن انسى هذا صدقيني. ثمة مشاكل في نفسك ايتها السيدة، وسأسعى، بعد ان تعود ابنتي الى ان لا أدع تأثيرك

بكتسح نفوس تلميذاتك الناشئات. انني سأسعى جهدي الى ان تتوقفي عن التعليم نهائيا بعد الآن.» واستدار خارجا من الغرفة صافقا الباب خلفه، بينما كانت هي تراقبه خارجا وجسدها ما زال يرتجف تاثرا بما حدث وبما قاله بعد ذلك.

ما الذي ستفعله إذا هو نفذ تهديده هذا ولم تعد تجد ملجأها واستقرارها في التعليم، وشعرت بالخوف من التفكير في هذا الأمر. لقد كان في التعليم خلاص نفسها منذ سنتين، وهو الشيء الوحيد الذي أعاد التكامل الى نفسيتها المشتتة. ومن دونه ستغرق في مهاوي اليأس. لقد قال انها تعاني من مشاكل نفسية وكان على حق في ذلك. ولكن أكبر المشاكل التي تعاني منها حاليا هي جيمس مالك أليستر.

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

الفصل الثاني

انعكست اشعة الشمس على بقع المياه المنتشرة على بلاط الشرفة، حيث جلست سارة وقد أراحت رأسها الى مسند الكرسي، وأغمضت عينيها شاعرة بالتعب في انحاء جسدها. فلم يكن غريبا انها لم تكد تعرف النوم. كانت تشعر بثقل في رأسها، وحرارة في عينيها من جراء اشعة شمس أيار(مايو) التي تكاد تلهبها.

لقد امضت طيلة الليلة في فراشها مستيقظة متمنية مجيء الصباح. ولكن مجيئه لم يخلصها من الكابوس الذي يعيش ويتنفس في اعماقها. ولقد اضيفت الآن تصورات اخرى الى ذلك وإلى كل ما يكمن في نفسها منذ زمن طويل. مضخمة صورتها وصورة جيمس مان البستر، والثورة في وجهه عندما احتضنها محاولا تقبيلها... ثم، وهو الاسوأ، غضبه البالغ وهو يمسح الدماء عن وجهه.

«سارة! هل انت بخير؟»

قفزت سارة من مقعدها وهي تلتفت نحو الباب لترى الآنسة ستيفاني جاكوبس، احدى المعلمتين ، واقفة تراقبها باهتمام.

قالت سارة: «نعم اني بخير، شكرا. انني فقط متعبة قليلا وهذا كل شيء. لم استطع النوم جيدا بسبب قلقي على كاترين.»

ساورها الشعور بالذنب وهي تكذب بمثل هذه السهولة. ولكن، هل في امكانها ان تكشف عن السبب الذي ابقاها مستيقظة؟ كيف يمكنها ان تكشف عن ان جيمس مان البستر قد اتهمها بتمثيل دور عليه لاجتذابه. ثم حاول ان يقبلها. وهي بدلا من التصرف معه بالحكمة اللازمة، قد تصرفت كامرأة مجنونة! لم يكن احد ليعرف ماضيها، كما وأنها لا تود ان تكشف عن ذلك الماضي. لم تكن ثمة طريقة تطلع بها ستيفاني على ما حدث، دون ان تخبرها بكل الظروف والأسباب التي أدت إليه.

قالت ستيفاني: «انني ادرك ما تعنين. انني قلقة لأجلها كذلك. اتظنينها ستراجع عقلها وتدرك حماقتها؟»

كان وجه ستيفاني الجميل يعلوه القلق وهي تستطرد: «لا يمكنني ان افهم لماذا قامت بعمل كهذا، يا سارة. لقد كانت دوما فتاة هادئة.»

ابتسمت سارة بحزن وهي تقول: «اخشى ان يكون هدوءها ذاك هو المشكلة. فكاترين هادئة اكثر من اللازم مما يجعلها تحتفظ بكل مشاعرها لنفسها بدلا من ان تبوح بما يقلقها. لقد شعرت منذ عدة أشهر ان ثمة شيئا غير طبيعي بالنسبة إليها، ولكنني لم اتصور مطلقا ان من الممكن ان تقوم بعمل كهذا. لقد كنت أمل ان تأتي إليّ لتخبرني بما هناك لنحاول معا ان نجد له حلا. فانا اشعر انني مسؤولة عما حدث الآن.»

قالت ستيفاني: «لا تلومي نفسك. ذلك ان المسؤول الوحيد هو والدها. انه مثلها الأعلى. في الحقيقة يا

سارة، ان الطريقة التي يدفن فيها بعض الاباء اولادهم في المدارس، ثم تقريباً ينسونهم، تحملني على الشعور بالغثيان.»

احمر وجه ستيفاني سخطاً، مما جعل سارة تشعر معها. لقد وافقتها على كل كلمة قالتها... ان والد كاترين هو حقاً، المسؤول الأول الجدير باللوم على ما قامت به ابنته... برغم عدم إقراره بذلك بطبيعة الحال. وكان عليه ان يجد كبش الفداء ليريح ضميره، ويبدو انه عليها هي ان تكون هذا الكبش.

قالت: «اشك في قبوله لحكمك هذا يا ستيفاني. لقد حاولت ان اخبره، منذ عدة اشهر، بقلقي عليها، ولكنه رفض الاستماع إلي لقد كانت حياته الخاصة اكثر اهمية بالنسبة إليه مما كان يحدث لابنته.»

كانت سارة تنتقد الأب وتدينه كلياً بالتسبب في ما حدث. ومن وجهة نظرها، لقد تملص جيمس مالك أليستر من مسؤولياته، وعلى كاترين ان تدفع ثمن عدم اهتمام ذاك. قطع عليهما حديثهما صوت غاضب يقول: «إنني اعترض على ملاحظاتك هذه يا انسة مارشال. ان ابنتي مهمة جداً بالنسبة إلي وأنا لا اقبل ابداً من أي انسان أن يقول خلاف ذلك.»

اعاد الصوت الى ذهن سارة ذكرى ما حدث الليلة الفائتة. وشعرت بالدم يتجمد في عروقها وهي تستدير لترى السيد جيمس واقفاً في نهاية الشرفة. وراودتها الذكرى لحظة، قبل ان تطردها من ذهنها. لقد مضت

الليلة الفائتة وربما لم يكن في إمكانها ان تغير ما حدث. ولكن عليها الآن ان تحسن التصرف لكي يمر اليوم بسلام. وعليها ان تجد القوة اللازمة لكي تستطيع التعامل مع والد كاترين دون ان يدب بينهما الخصام، وذلك الى ان تعود ابنته.

فكرت في ان عليها ان تجد طريقة مضمونة لتزيد من غيظه.

قالت: «هل هي حقاً بهذه الأهمية عندك، يا سيد مالك أليستر؟» وابتسمت ببرود متابعة: «على كل حال، فإنني اتساءل ما دامت هي كما تقول مهمة بالنسبة إليك، فاين موقعها بالضبط من قائمة اهتماماتك الأولية؟»

تقدم نحوها وقد بدا مظهره القاتم خطراً بسرواله الجينز وقميصه الأسودين اللذين اظهرا نحافته. وهو يقف مشرفاً عليها ويقول: «ارجو المعذرة؟ هل تسمحين بأن توضحي كلامك هذا؟»

قالت: «لا أظن ان كلامي بحاجة الى ايضاح. ولكن، إذا كنت تصر على ذلك.» وتلاقت نظراتهما لحظة، ما لبثت بعدها ان خفضت رأسها لتتلافى برودة تحديقه فيها. وأخذت تعبث بحواشي قميصها الأبيض وثنيات تنورتها الرمادية. وهي تقول: «كل انسان عنده قائمة باهتماماته الأولية في حياته، المنزل، الأسرة، الوظيفة. وأنت رجل اعمال ناجح جداً واهتماماتك عالمية. ولكنني اتساءل اين موقع كاترين بين اهتماماتك هذه؟ هل هو قبل عملك أم بعده؟»

ربما لو لم يكن الصداع يتملكها، والتوتر يغمر جسدها. ولو لم تكن قد امضت اسوأ ليلة في حياتها مستيقظة بسببه. ربما كانت قد اختارت كلامها بطريقة مختلفة وأكثر حكمة مما فعلت. ربما. ولكنها تشك في ذلك. فهذا الرجل قد سخر منها وأخافها. ليتدفق الآن كل ما كان يجول في نفسها من ألم وحنق.

ضاقت عيناه وهو يقول ببرود يخفي ثورة كامنة: «ان مصلحة كاترين هي دوما في المقدمة عندي. انني لم افكر قط في ان تكون أقل من ذلك بالنسبة إلي.»

تمتمت ستيفاني معتذرة ثم ولت هاربة. ولكن سارة لم تكد تلاحظ ذهابها، إذ ان كل الالم والمعاناة اللذين كانا يعتملان في نفسها قد تفجرا بثورة مماثلة لثورته وهي تقول: «عفوا لشكوكي هذه. ولكن، ماذا بالنسبة الى ذكرى ميلادها؟ هل تذكرته؟ هل ارسلت لها هدية؟ او حتى بطاقة؟»

هزت رأسها وتصاعد الدم الى وجهها الشاحب، بينما عيناها الرماديتان تكمن فيهما ثورة عميقة وهي تتابع حديثها: «لقد بقيت كاترين تتردد على غرفة الإدارة في المدرسة طيلة النهار في انتظار وصول رسالة، او بطاقة، أي شيء منك. ولكن، دون فائدة لانك كنت مشغولا عنها جدا في اعمالك الخاصة. فلم تتذكر ماذا يعني ذكرى ميلاد فتاة في الخامسة عشرة من عمرها بالنسبة إليها.»

قال: «لقد كنت في بوليفيا على بعد أميال من أقرب

مدينة. ولم يكن ثمة طريقة استطيع بها شراء بطاقة وقد شرحت لها ذلك عند عودتي.»

قالت: «وهذا كان مفروضا فيه ان يصلح من خيبة أملها. أليس كذلك؟ اعني ان تشرح لها عدم امكانك الوصول الى أي محل؟ انك لم ترها في ذلك اليوم يا سيد ماك اليستر، ولكن انا رأيتها. لقد شاهدت مقدار ألمها. رأيت كيف كانت تحاول التخفيف من واقع انك نسيت ذكرى ميلادها وذلك أمام صديقاتها. وبعد كل هذا ما زلت مصرا على انك تضع كاترين في المكان الأول في حياتك.»

وقفت تتناول سترتها عن ظهر الكرسي لتتقل راجعة الى الداخل، بعد ان منعها انزعاجها من البقاء لحظة واحدة. ولكنه تقدم أمامها يقطع عليها الطريق وهو يقول: «انني لا أصر على شيء. ولا يهمني إذا كنت تصدقينني أم لا يا آنسة مارشال. فكل ما يهمني هو انك كنت تغرسين مثل هذه الأفكار في ذهن كاترين؟»

قالت: «اغرس أفكارا؟ والآن اسمع، ان هذا الامر غير صحيح اطلاقا. انني لم أقل كلمة واحدة قط. ولا كلمة يمكن ان تفسر على انها انتقاد لتصرفك. انني لست من عدم الإحساس بحيث أقوم بمثل هذا العمل.» ورفعت رأسها تنظر في عينيه لتندم حالا على تصرفها ذاك بعد ان رأت البرود في اعماقهما. وتابعت: «ان كاترين تحبك، يا سيد ماك أليستر. وهنا المشكلة فلو أنها كانت تراك على حقيقتك المجردة، لوضعت ذلك في الاعتبار

www.rewity.com ARYAHEEN

وواجهت حقيقة انك لست ذلك المزيج بين الرجل المثالي والأمير الساحر.»

ارتسمت على شفتيه المتوترتين ابتسامة هي أدنى الى التهديد وهو يقول: «وماهي حقيقتي المجردة؟ تعالي هنا يا آنسة مارشال. لا تقفي هناك بعد ان بلغ الحديث بنا هذا الحد. لقد قلت ان على كاترين ان تراني على حقيقتي. فما معنى هذا بالضبط؟ كيف ترينني انت نفسك في الواقع؟»

شعرت بميل شديد في ان ترد عليه. ولكنها استطاعت ان تتمالك نفسها وتضبط اعصابها لتقول: «ان رأيي ليس له أي أهمية. المهم هو كيف تراك ابنتك.»

فقال: «إذن، فانت قد اعترفت بذلك في النهاية. أليس كذلك؟ اعترفت بأن رأي كاترين هو المهم وليس رأيك؟»

نظر الى وجهها المتضرج وشفتها السفلى الممتلئة التي كانت ترتجف. وتابع قائلا: «ربما كان تصرفك ليلة أمس يستحق هذا.»

فقالت: «لا أدري ماذا تقصد بقولك هذا؟» وحاولت ان تستدير حوله ولكنه استدار ليقطع عليها الطريق مرة اخرى. وقد عقد ذراعيه على صدره وهو يتمعن في ملامحها. وقال: «انك لست كاذبة ماهرة وحسب يا آنسة مارشال. انك تعرفين جدا ماذا اقصد. انني لم أنس ما حدث وكيف هاجمتني كامرأة مجنونة.»

فقالت: «انا؟ انا هاجمتك؟» وتفجرت الثورة في اعماقها وهي تستدير إليه قائلة: «انك انت.. انت الذي...» لماذا

تجد صعوبة في ان تنطق ولو كلمة بسيطة واحدة؟ ان تقول له بهدوء ووضوح. إنه هو الذي ابتدأ ذلك بمحاولته تقبيلها؟ كانت تحارب في معركة صامتة في داخلها. ولكنها تخلت عن ذلك عندما شاهدت السخرية القاسية في عينيه. فعادت تنظر إليه قائلة: «انك انت الذي هاجمني ليلة أمس. لقد دخلت غرفتي دون دعوة وشتمتني ثم هاجمتني جسديا. ولو شئت لأمكنني رفع دعوى عليك لهذا.»

فقال: «ايمكنك هذا حقا؟ انني اشك في ذلك، خصوصا. إذا رأى الناس البرهان في آثار اظافرك على وجهي.» وأدار جانب وجهه. شعرت هي بالغثيان وهي ترى خدش اظافرها الغاضبة يمتد من أذنه الى انحناء فكه القوي. وقالت بصوت خجل منخفض: «لقد كان الذنب ذنبك. ما كان ينبغي لك ان تقول ما قلته. ولا ان تحاول تقبيلي بهذا الشكل.»

نظر إليها متفرساً. ثم قال: «ربما كان الأمر كذلك. ولكن يجب ان تسلمي بواقع انني كنت. وما زلت. ثائرا وبالغ القلق على كاترين. وأنا مقتنع بأنك مسؤولة وتتحملين اكثر اللوم لغرسك افكارا غير طبيعية في عقلها. مهما كان السبب الذي دعاك لذلك.»

قالت: «انني لم أفعل ذلك. لماذا لا تحاول ان تكون منطقيا؟ انني لم أحاول مطلقا ان أؤثر في تفكير كاترين بأي شكل. ولا ان أقوم... بتمثيل دور عليك. بصراحة يا سيد مالك ليستر ان في استطاعتي ان اعيش سعيدة

تماما دون رجل. لهذا دع عنك التفكير انني كنت اضع خطة لاجتذابك إلي.»

فقال: «هذا ما تقولينه الآن. ولكن من الطبيعي ان تفعلي ذلك. إذ ان من الصعب عليك الاعتراف بأن ما تقومين به الآن ما هو إلا الرد العكسي.» هز رأسه وتابع قائلا: «ولكن ليس ثمة شيء يجعلني اتسامح معك في ما فعلت. لقد كانت كاترين سعيدة تماما وصبية متفهمة تماما الى ان وقعت تحت تأثيرك. وما كانت لتتصرف قط بهذا الشكل الشائن، مثل الهرب، لو لم يضع احد هذه الفكرة في رأسها.»

فقالت: «أهذا ما تظن؟ انك، إذن، تتهمني في توجيهها لهذا العمل؟ تابع كلامك يا سيد ماك. إذ لا يمكن ان تكون في مثل هذا الغباء الذي يجعلك تظن ذلك حقا. اولا، كان من المفروض حسب قولك ان اضع خطة لاجتذابك. ثانيا، ان استعمل تأثيري على ابنتك لكي احملها على الهرب. انك حقا مجنون. ان آخر ما أريده هو ما حدث لكاترين. هذا عدا ما تخفيه من شعوري نحوك.»

قال: «وكيف تفسرين تصرفها إذن؟ انك تدعين معرفتك بابنتي. أخبريني إذن عن دافعها الى هذا التصرف.»

لماذا تلاشى غضبها فجأة وهي تسمع صوته؟ هل هي رنة الألم في لهجته؟ لم تستطع سارة ان تقرر. كل ما كانت تعرف هو انها، منذ لحظات، كانت تتمنى لو تستطيع ان ترى جيمس ماك اليستر متألما... ولكنها

الآن، وهو يتألم تتمنى لو استطاعت ان تخفف عنه.

قالت: «لا اظن ان الامر بمثل هذه السهولة. انني اتصور ان ثمة مزيجا من عوامل متعددة دفعها الى هذا، وهي وحدها التي تستطيع شرحه لنا.»

فقال: «ولكن كان عليها ان تدرك مقدار القلق الذي ستسببه لي بهذا العمل. أليس ثمة حساب لهذا؟ انني مستعد لأن أقوم بأي شيء في العالم من أجلها وهي تعلم ذلك... انها تعلم ذلك.»

قالت سارة بصوت رقيق في محاولة لتخفيف الآلام التي شعرت بها تمزقه: «هل هي تعلم ذلك حقا؟» ربما كانت لا توافقه على الطريقة التي كان يعامل بها ابنته، ولكنها لا تستطيع انكار ان قلقه عليها كان بالغا وحزنه حقيقيا. والحزن هو شعور عرفته جيدا خلال السنوات الماضية.

قال: «انها تعلم بالطبع. لا بد ان يكون ذلك. ان كل ما أقوم به هو من أجلها. لكي أمنحها حياة فضلى وأؤمن مستقبلها.»

وابتعد عنها ثم أخذ يشد قبضته على حاجز الشرفة الحديدي.

تابع قائلا: «لم يكن من السهل علي ان أربي طفلة بمفردي. فكيف إذا كانت هذه الطفلة هي ابنتي؟ عندما ماتت زوجتي فكرت طويلا في أفضل حل لمشكلة كاترين، ورأيت ان ذلك في مدرسة داخلية مما يمنحها استقرارا أفضل في حياتها. ذلك ان عملي يتطلب مني القيام بأسفار متعددة. فلم أشأ ان اتركها في عهدة الخدم

ومدبرات المنزل. وبدا لي اختياري ذلك مثاليا. خصوصا عندما بدت عليها السعادة لهذا الأمر. والآن، تأتي انت لتخبريني ان ما كنت أظنه في مصلحتها كان خطأ»، واستدار يواجهها بوجه متجهم عدائي وهو يتابع «لا أقبل ولن أقبل منك هذا ابدا، يا آنسة مارشال.»

ارتجفت سارة على الرغم من دفء اشعة الشمس، فأسرعت تجذب أطراف السترة الصوفية تلتمس الدفء. قالت «لم أقل قط انك كنت مخطئا في إرسالها الى المدرسة الداخلية. لقد كانت دوما سعيدة معنا الى وقت قريب.»

فقال «انى ان وقعت تحت تأثيرك غير المستقر.» واستقام في وقفته ليشرف عليها بشكل جعلها تتراجع خطوة الى الخلف، وقد تملكها خوف مفاجئ من نظرته الغاضبة إليها.

لا بد انه قرأ افكارها، فابتسم ببطء وما زال وجهه عابسا وهو يقول «لا تقلقي فانا لست من الحماقة بحيث أكرر غلطتي.» ورفع يده يلامس الشرخ الذي ما زال واضحا في وجنته وهو يطيل النظر إليها، الى ان سرى الاحمرار الى وجهها وعنقها. وتابع قائلا «يمكنك ان تقولي ما تشائين يا آنسة مارشال. وتعترضي بقدر ما تريدين، ولكن لا شيء من ذلك سيغير من فكرتي عمن تقع عليه المسؤولية. وعندما أجد كاترين، سأقوم بما عاهدت نفسي عليه وهو ان لا أدع طفلا يقع تحت تأثيرك مرة أخرى. وان لا يعاني أباء آخرون مما عانيته

انا من الآلام. إنك لن تزاولي التعليم مرة اخرى يا آنسة مارشال، إنني سأضمن ذلك.»

تركها وخرج من دون ان يتفوه بكلمة اخرى، تاركا إياها ترتجف. لقد عنى كل كلمة قالها. انه يريد ان يسلبها الشيء الوحيد الذي تملكه في حياتها. وبدا لها انها لن تستطيع منعه من ذلك. وصدرت عنها آهة ألم سرعان ما رفعت بعدها يدها الى فمها تقفله، وقد تملكها الخوف من أنها إذا استسلمت للضعف الآن، فسرعان ما تكون نهايتها. لقد علمتها الحياة ان تكافح من اجل ما تريد وقد سبق وقامت بهذا من قبل. فاجتازت كل العقبات الى ان وصلت الى هدفها. والآن، عليها ان تجد القوة، لكي تعاود الكفاح من جديد. انما هذه المرة، الخصم ليس في داخلها بل هو شخص حقيقي حي. ان عليها ان تناضل ضد جيمس ماك وتقنعه بأن ما هو بسبيله ضدها إنما هو خطأ تام.

اقبلت عليها ستيفاني قائلة «هل ذهب؟ يا للهول، لا اظنني رأيت من قبل شخصا بمثل هذه الثورة! ولا أدري كيف امكنك مواجهته.» نظرت الى سارة وقد ارتسم على وجهها الجميل مزيج من الهيبة والاعجاب. اغتصبت سارة على شفتيها ابتسامة مرتجفة مستعينة بهدوء اكتسبته طوال السنين الماضية، لاخفاء مشاعرها الحقيقية عن النساء الأصغر سنا. وقالت «اظنه يعلم في اعماقه انه يتحمل جزءا من المسؤولية في ما حدث لابنته، وربما هذا ما جعله غاضبا. ان من الصعب على

www.rewity.com

إنسان بثانية السيد ماك ليستر ان يعترف بالخطأ.»
ضحكت ستيفاني وقد زال بعض توترها. وقالت: «اتمنى لو انني مثلك استطيع فهم الناس. «كان الاطراء صادقا. انما هل كان صحيحا؟ هل هي حقا تفهم الناس؟ ربما كانت ستوافق على هذا القول قبل يوم او نحوه. ولكن. بعد ان حدث ما حدث بينها وبين جيمس ماك ليستر. فقد ترددت في ذلك. لقد كان لجيمس ماك ليستر. قانونه الخاص. لم يكن ثمة احد يدرك. كيف يعمل عقله إلا إذا شاء هو. فهو لا بد انه يدرك بنفسه خطأه في ان يحاول تدمير مهنتها.
قالت: «ان هذا جزء من عملي يا ستيفاني.»
فقالت ستيفاني: «وهذا هو الجزء الذي لا أحبه.»
هزت كتفيها وهي ترى نظرة خوف في عيني سارة. وتابعت: «هل ترين في هذا ما يشبه خيبة الأمل؟ انه ما اشعر به تجاه مهنة التعليم.» ومشت تتطلع من الشرفة الى الاشجار التي تفصل الشرفة عن الشارع. وتابعت: «لا أظنني سأمكث في هذه المهنة طويلا يا سارة. إذا شئت الحقيقة. لقد ابتدأ عندي هذا الشعور بعدم الارتياح قبل القيام بهذه الرحلة. إنما الآن...» وابتسمت فجأة وهي تفتح ذراعيها على اتساعهما وتقول: «باريس. يا سارة. انها مركز العالم المتمدن. ألا تجعلك تريدين ان تتركي كل شيء. لكي تتعرفي الى الدنيا؟ اشعري بالحياة قبل ان تصبحي اكبر سنا. هنالك حياة اوسع. ولا اريد ان امضي بقية حياتي في تعليم فتيات ليس

لديهن أقل رغبة في معرفة مكان جبل كمنجارو او كيفية تكوين حجر الصوان.»
ضحكت سارة بمرارة وهي تقول: «اظنني مررت بهذه المرحلة. ان فكرتي عن الحياة الحسنة هي ان ابقى في مهنتي هذه.»
فقالت: «مررت بهذا؟ أوه. ولكننا كنا نتكلم عنك في قاعة الجلوس ذلك اليوم.» ورأت على ملامح سارة تعبيرا جعل الدم يتصاعد الى وجهها. ولكنها تابعت: «انني اعرف. اعرف... ولكنه من الطبيعي ان يتملك الفضول بعض الناس. انك ماذا؟ في الثلاثين.. الواحدة والثلاثين؟ ولكن. يبدو انه ليس لديك حياة خارج المدرسة! لماذا يا سارة؟ لماذا تدفنين نفسك في ذلك المكان؟ انك ما زلت شابة. ولكن. اذا لم تنتبهي إلى نفسك فسيفوتك القطار.»
قالت سارة: «شكرا. انني احب حياتي كما هي الآن. لا تقلقي لأجلي. والآن. هل لديك البرنامج لهذا اليوم؟ إذا لم اكن مخطئة فقد كان معيد نوتر دام في المفكرة.»
تنهدت ستيفاني ولم تتراجع امام رغبة سارة في تغيير الموضوع وقالت: «انك لا تخطئين يا سارة. وهذه هي المشكلة. يجب ان يكون لديك الكثير مما يسترعي اهتمامك الى جانب البرنامج.»
قالت سارة: «ربما. ولكنني المسؤولة عن هذه الرحلة.» كان ثمة برود في لهجة سارة وهي تدلي بهذا الجواب. ولكنها فشلت في ان تتفادى الرجفة التي شعرت بها

عندما تكلم جيمس ماك البستر من خلفها. قائلا: «انني مسرور لسماع هذا. فإن هذا سيسهل من الامور في الايام القليلة القادمة. إذا انت اعتبرت ان هذه الرحلة وما حدث فيها ينضوي تحت مسؤوليتك.»

استدارت سارة تنظر إليه وقد كسا وجهها استفهام مؤدب. ولكنها لم تستطع ان تحمل عضلاتها على الاسترخاء. وجسدها بأجمعه على عدم التوتر الذي غزاه. وسألته: «لماذا يخامرني شعور ان ثمة غرضا لك من وراء هذه الملاحظة يا سيد ماك البستر؟»

اجاب وهو يتقدم الى الداخل: «ربما لأن هناك غرضا فعلا.» وتوقف امام الباب حتى لا يدع لها فرصة لترك الشرفة الى الداخل إلا إذا شاء هو ذلك. وتابع: «لقد كنت اتحدث الى السيدة سيكوت قبل قليل. وقد اخبرتني بأن فيليب ليس من باريس. بل من بلدة صغيرة قرب الحدود الاسبانية وانه ابن احد انسبائها البعيدين. وقد وظفته في هذا العمل عندما لهذا السبب.»

فقالت: «فهمت. ان هذا شيء هام يا سيد ماك. هل هنالك ما يفيد في هذه القصة؟» نظرت في ساعتها وهي ما زالت تشعر بالتوتر. إنه يحاول شيئا ما. لقد ادركت الآن ذلك. ادركت انه يريد ان يخبرها شيئا لا تود سماعه. ولكنها شعرت بعجزها عن إيقاف انكشاف الاحداث واحدا تلو الآخر.

قال: «انني طبعا ما كنت لأضيع وقتي لو لم يكن هناك ما يفيد بالنسبة الى ابنتي الضائعة.» وعقد ذراعيه فوق

صدره وهو مستند الى جانب الباب ومضى يتفرس فيها بنظرات عدائية متابعا: «كما اخبرتني السيدة سيكوت بأن فيليب كان يشعر بالوحدة بعيدا عن موطنه. وقد لمح الى نيته العودة الى بلدته مع إثنين من الخدم. وهما مقتنعان بأنه قد ذهب الى هناك مصطحبا كاترين معه.»

قالت: «لقد فهمت. لا بد ان الشرطة قد بُلغت.»

قال: «انني اريد ان اتصل بهما هاتفيا. إذ لا يسعني الجلوس هنا وانتظار ما سيحدث. ان احضار كاترين هو عملنا الآن.»

قالت: «عملنا؟ ماذا تعني بذلك؟» لقد كان لديها شعور بأنها تنجذب شيئا فشيئا نحو أمر لا يعجبها.

اجاب: «الامر بسيط اريد ان تعود إلي ابنتي في اسرع وقت ممكن. قبل ان يفسد ذلك الفتى ما لا يصلح. ولهذا اريد ان ألحق بها هي وفيليب الى بلدته. وأنت يا آنسة مارشال ستذهبين معي.»

قالت: «معك؟ انا؟ ولكن... كلا... ان هذا أسخف شيء سمعته. لا يمكنني الذهاب معك. علي الاهتمام ببقية الفتيات. انهن... لا يمكن ان يبقين بمفردهن.»

ابتسم بعبوس بينما بدا التصميم على وجهه بوضوح وهو يقول: «عرفت انك ستقولين هذا. ولهذا اعطيت نفسي حرية التصرف في الاتصال هاتفيا برئيستك في المدرسة. وهي سترسل من يحل مكانك في أول طائرة قادمة. لكي يكون في إمكانك الذهاب معي. انها تشعر،

تبعاً لظروف ما حدث. ان من واجبك الذهاب معي. في الواقع، لقد بلغ بها الامر حد التأكيد ان هذا ما يتوجب عليك القيام به. لهذا، وضبي اغراضك يا آنسة مارشال. لاننا سنبدأ رحلتنا خلال نصف ساعة.» واستدار عائداً الى الداخل، ولكنه ما لبث ان توقف وادار رأسه ليقول من فوق كتفه: «يمكنك ان تعتبري هذا فرصة اخرى لك. فإذا ذهبت معي لمساعدتي في البحث عن كاترين واعادتها. فإنني قد أعيد النظر في ما صممت عليه بالنسبة لمستقبلك في التعليم.»

اختفى داخل الفندق تاركاً سارة تحدق في أثره وقد بدا الهلع في عينيها. أرادت ان تركض وراءه لتقول له انها لن تذهب معه.. ولكن، كيف يمكنها ان تفعل ذلك؟ انها إذا تسببت في اغضابه الآن، فهي ليست من الحماقة بحيث تتصور أنه سيتجاوز عن الامر. ذلك ان جيمس رجل ذو نفوذ ويعرف اناساً في مراكز عليا كثيرة، فهو في إمكانه ان يحطم سمعتها إذا شاء.. فلا تجد مدرسة ترضى بأن تمنحها عملاً في المستقبل. ولكن، كيف يمكنها ان تتقبل فكرة مرافقته في مثل هذه الرحلة اليائسة للتفتيش عن كاترين عبر فرنسا؟

الفصل الثالث

كان الرصيف جافاً، ولكن الهواء كان يحمل ذاك الشذا النقي، الذي سرعان ما تبدده ساعات الازدحام الثقيل في المدينة. وخرجت سارة بحقيبة امتعتها الى السلم، ثم وقفت لحظة، وقد اسعدتها نسمة ربيع باريس. أغمضت عينيها، وعادت بذاكرتها الى يوم كانت تلميذة، حيث امضت سنة دراسية في جامعة السوربون. كانت إياما رائعة.. اروع أيام حياتها. كانت أياما ذهبية شعرت اثناءها بالعالم طوع بنانها. لم تتوقع ان تكون حياتها مغامرة كبرى. وهذا ما جعل الزمن الذي تلا ذلك اكثر سوءاً. ولو ان في إمكانها ان تدير عقارب الساعة الى الوراء، لأدارتها الى تلك الأيام وأبقتها ثابتة الى الأبد. سألها: «هل ستبقين مستغرقة في احلام اليقظة كل اليوم هكذا؟ لقد اضعنا الكفاية من الوقت حتى الآن. تعالي.»

اخرجت اللهجة الآمرة، سارة من شرودها. فنظرت نحو الطريق لترى جيمس واقفاً بالقرب من سيارة سوداء، وقد كسا الضيق ملامحه. وساورها الخوف لحظة، ما لبثت بعدها ان تنفست بعمق لتهدئ اعصابها بعد ذلك، ومن ثم اخذت تجرجر حقيبتها على الدرج. لقد سبق واتصلت بالمدرسة وتكلمت مع الرئيسة وذلك قبل ان تحزم امتعتها، آملة ان تجد طريقة تقنعها بأن

www.rewity.com ARAYAHEEN

هذه الخطة بأكملها كانت حمقاء. لكن السيدة هانت، الرئيسة، كانت واثقة من ان هذه هي الطريقة الوحيدة المجدية في هذه الظروف. كانت لهجة الرئيسة حادة على غير العادة، مما ترك عندها فكرة انها تعتبرها الملومة في قضية اختفاء كاترين. ولم يكن لديها شك في ان جيمس مالك اليستر كان وراء ذلك. لم يكن ذلك عدلاً، ولكن لم يكن ثمة فائدة من الاعتراض. فقد كان اهتمام السيدة هانت يتعلق فقط بسمعة المدرسة، وإذا كان ثمة طريقة لاستعادة كاترين سالمة، في الوقت الذي تبقى فيه الحادثة نفسها في طي الكتمان، فذلك ما يهم. اما مشاعر سارة فلم تكن تساوي شيئاً.

قال جيمس مالك اليستر وهو يضع الحقيبة في صندوق السيارة ويقفل الغطاء: «ماذا يوجد في هذه الحقيبة؟ ملابس؟» نظر اليها ببرود، ولكنها تجاهلته. لقد صممت على ان تبقى هادئة طوال الرحلة، وان لا تسمح لغضبها الاحمق المتوحش ان يتفجر كما حدث الليلة وكاد يتكرر هذا الصباح. لقد كانت هذه هي الطريقة الوحيدة لكي تستقر الامور معهما.

قالت وهي تتخذ مقعدها في السيارة: «قد احتاج الى تبديل ثيابي في حال اضطررنا للمبيت، وربما العثور على كاترين سيستغرق مثل هذا الوقت.»

اخذت تسوي من ثنيات تنورتها بهدوء، اخفى ضيقها من كلامه. صعد الى جانبها ثم أدار محرك السيارة. وما لبث ان انضم الى حركة السير.

قال: «يمكن ان يأخذ الامر وقتاً اطول من ذلك. أعدي نفسك لهذا. فإن علينا ان نسير عدة مئات من الاميال وبعد ذلك نصعد الجبال في طرق وعرة.»

قالت: «الم يكن من الافضل ان نركب الطائرة الى تولوز ومن ثم نبدأ في البحث؟ اننا هناك نكون أقرب الى موضع فيليب. اذ ان تجوالنا في طرق نحن غير متأكدين منها، إنما هو مضيعة للوقت. هذا إذا كانا قد توجها أصلاً الى هناك.»

هز رأسه وعيناه مركزتان على الطريق أمامه وهما يتركان الشارع الفرعي، ليدخلا في زحمة السير في قلب المدينة. وقال: «كلا، ليس في ذلك مضيعة للوقت.» وتناول خريطة مجعدة من الصندوق أمامها. وناولها اياها، وهو يقول: «لقد أعطاني اياها احد الخدم الذي وجدها في غرفة فيليب، القي عليها نظرة وحاولي ان تقرأي الكتابة اليدوية.»

نظرت سارة في الخريطة ممعنة النظر في الملاحظات المدونة على الهوامش الضيقة، قبل ان تنظر إليه بحيرة وهي تقول: «يبدو ان هذا خط كاترين ولكنني غير متأكدة.»

قال: «إنه خطها. من الواضح انها قد ساعدت في التخطيط. ولكن، هل عندك فكرة عن كيفية اعتزامها السفر كل هذه المئات من الأميال؟» كان في صوته العميق لهجة غاضبة جعلت سارة ترتعش دون إرادة منها.

اجابت: «ليس تماماً. هل كان ذلك بالسيارة؟»
ضحك بخشونة قائلاً: «كلا. ان فيليب يفخر بحيازته دراجة نارية، بقي عدة اشهر يعمل في ضبط اجهزتها بيديه. ويظهر انهما قررا السفر بواسطتها. وقد استنتجت ان ليس أمامهما حظ كبير في قطع مسافة بعيدة بهذه الطريقة. هل ادركت الآن لماذا لم أفكر بالسفر جوا. وفضلت انتظار وصولهما؟ ان أي شيء يمكن ان يحدث في هذا الطريق. يكفي انها هربت مع فتى لا نكاد نعرفه. ولكن ان يكون ذلك بواسطة دراجة نارية ركب أجهزتها بنفسه... ان أي شيء ممكن الحدوث لهما... انني لا استبعد ان يلقي بها ذلك الفتى في الطريق إذا تعطلت الدراجة النارية وأصبحت هي تشكل عبئاً عليه.»
قالت: «لا أظن. استبعد هذا. ذلك ان فيليب يبدو... حسناً، انه يبدو فتى لطيفاً هادئاً. لقد تحدثت إليه في عدة مناسبات. انني متأكدة من انه سيعتني بكاترين.»
قال: «ان هذا يريح افكاري يا انسة مارشال. اشكرك لشهادتك الطيبة فيه. لقد ارتحت الآن بعد ان عرفت ان الفتى الذي هربت معه ابنتي، قد نال موافقتك.»
تضرج وجه سارة ونسيت خجلتها في ان تبقى هادئة على الدوام. وقالت: «ليس ثمة حاجة بك الى السخرية. يحسن بك على الأقل، بعد ان اجبرتني على مرافقتك، ان تكون مهذباً. وإلا، فيمكنك ان تقف وتنزلني هنا. إذ ليس في إمكاني احتمال ضياعك السيئة لعدة أيام.»
قال: «عليك يا انسة مارشال، احتمال كل ما يصدر مني.

ذلك انك لست في وضع يؤهلك لطلب أي شيء، لأنك لو كنت قد قمت بعملك جيداً ثم انتبهت الى سير الأمور، لما حدث ما حدث. لهذا، فإن أدبي ومراعاة شعورك هما آخر اهتماماتي.»
قالت: «لقد كنت دوماً أقوم بعملي جيداً. وأكره ان اسمع منك النقيض. ولا تنسى انني حاولت تحذيرك من ان ثمة شيئاً خاطئاً يحتمل في نفس كاترين. ولكنك تجاهلت تحذيري ذاك.»
قال: «ها قد عدنا الى ذلك الموضوع. أليس كذلك؟ لقد حاولت تحذيري... ثم حاولت تحذيري؟ هل كنت تظنين ان كاترين لم تكن سعيدة؟» وحوّل انظاره عن الطريق، لتتشابك مع أنظارها فترة وقد بدا فيها الانزعاج. وتابع يقول: «لا أذكر انك جعلتني افهم جيداً ذلك الأمر. لقد بدا عليك انك اكثر اهتماماً بكاترين. وأكثر من هذا، فأنت لم تذكري شيئاً عن قضية الهرب. فلو كنت تقومين بعملك كما يجب، يا عزيزتي الآنسة مارشال، لكان عليك ان تجدي شيئاً تخبرينني به بدلاً من المداورة. وتعبيري بأنها كانت غير سعيدة وأن ذلك كان خطأي أنا.»
قالت: «ولكنه كان خطأك فعلاً. ألا تستطيع ان ترى ان عدم اهتمامك الكافي بكاترين دفعها الى هذا العمل؟»
قال: «كلا.. لا استطيع رؤية ذلك. انني لم أدفعها الى فعل احمق كهذا. ولكنني اعرف من الذي فعل ذلك. انني اعرف اول من غرس هذه الفكرة في رأسها. وصدقيني، انك لن تتركي دون عقاب على ذلك.»

ما الذي تتوقعه؟ انه عاد الى رشده وأدرك انه كان مخطئا؟ ليس الى ذلك سبيل. ذلك ان اليوم الذي يعترف فيه جيمس المغرور بخطئه، هو اليوم الذي تحدث في معجزة.

تابعها طريقهما بصمت. لم يكن صمتا مريحا. وانما كان مشحونا بالغضب والمشاعر السيئة. وقد جعل هذا سارة تشعر بأنها على شفا جرف. فقد توتر جسدها كليا. وحاولت الاسترخاء بإسناد رأسها الى الخلف على مسند المقعد وهي ترقب باريس في خضم حركة السير. السائقون الباريسيون مشهورون بقيادتهم السيئة. ولكن يظهر ان هذا لم يؤثر على قيادة جيمس. الذي كان يقود سيارته بثقة وثبات عبر المدينة الى ان وصل الى الطريق العام المؤدي الى أورليان. وللثانية واحدة فقط رمقها بنظرة كانت هي اثناءها، تدير رأسها اليه. وتلاقت انظارهما لحظة لتعود. بعدها. فتشيح بوجهها بعيدا وقد شعرت بانفاسها تختنق في صدرها. بينما كانت السيارة تسرع في سيرها تاركة باريس خلفها.

لقد كانا الآن في طريقهما حقيقة. هي وهذا الرجل الذي يبدو انه كان يثير في اعماقها مشاعر غريبة لم تعرفها من قبل. وتملكها شعور غامض بأن حياتها لن تعود كما كانت بعد ان تنتهي هذه الرحلة. وأخافها تفكيرها هذا. أخافها بقدر ما اخافتها ردة الفعل التي شعرت بها نحو جيمس. انها لا تريد ان يحتل شيئا من عالمها الصغير الآمن. انها لا تريد ان ترغم على ترك الملجأ الذي أقامته

لنفسها. ولكن، هو ذا وجودها تشعر به يتبدد في مهب الرياح مرة اخرى.

المتها عضلات عنقها التي تصلبت من البقاء مدة طويلة في اتجاه واحد. وصدر عنها أنين خافت وهي تحرك رأسها مستغربة صلابة هذه الوسادة تحت وجنتيها. فتحت عينيها لتشعر بالوعي يعود الى ذهنها. استقامت في جلستها وهي تمر يدها على شعرها. تنظر في كل اتجاه ما عدا الى الرجل الذي كانت تريح رأسها على كتفه.

قال: «ظننتك ستنامين طوال بعد الظهر. انني جائع فدعينا نجد شيئا نأكله.»

القى عليها نظرة وهو يخرج من السيارة. لم يكن يبدو عليه الاهتمام كليا لاتخاذها كتفه وسادة لرأسها. ولكنها اهتمت هي لذلك. لقد شعرت بالحرج المحرق يجتاحها، بعد ان وجدت جسدها مستندا اليه بهذا الشكل... المبالغ في المودة. جرى الدم في عروقها حارا وهي تفكر في أنها نامت على كتفه. وأشاحت بوجهها حين نظرت الى السيارة خلفه، متشاغلة بتسوية شعرها ولفه الى الوراء بالمشابك. ولكن يديها كانتا من الارتعاش بحيث كانت المشابك تعود فتتعثر في يدها.

قال: «ليس لدينا الوقت الكافي لكي تشبكي شعرك كالمعتاد.»

عاد الى داخل السيارة. وجرها عبر المقعد ليمد يده ويسحب بقية المشابك من شعرها. وبسرعة. تخللت

أصابعه شعرها الكث اللامع ثم تفرس فيها بهدوء للحظة قائلا: هذا أحسن بكثير. إنه افضل من السابق.

والآن، هل لنا ان نأكل شيئا. اريد ان نصل الى ليموج قبل المساء فقد نجد كاترين هناك. فهذه احدى الاستراحات في الطريق. ولكن اذا بقيت تضيعين الوقت فسنكون سعيدين إذا وصلنا الى شاتورو قبل هبوط الليل.

سحب المفاتيح من السيارة. ثم اقفل بابها قبل ان يتوجه الى المقهى القريب. نظرت سارة في أثره وقد ساورها ما يشبه الرجفة. ومرت يدها على شعرها المنسدل لتشعر بالغضب يتفاعل في داخلها مرة اخرى. كيف يجرؤ على هذا العمل؟ وما هذه الوقاحة التي دفعته الى نزع المشابك من شعرها بهذا الشكل؟

نظرت ثائرة الى وجهها في مرآة السيارة وهي تتساءل كيف يمكنها إعادة تنظيم شعرها دون مشابك؟ عقدت جبينها وهي ترى نفسها وقد اختلف منظرها عن ذي قبل، بعد ان استدار حول وجهها شعرها الناعم البني المجعد لينسدل على كتفيها. ولاحظت ان ذلك قد أسبغ شيئا من الرقة على ملامحها. كما ان عينيها بدتا أكثر اتساعا من المعتاد. وتصورت للحظة، ان الزمن قد رجع بها الى تلك السنوات التي كانت فيها طالبة تترك شعرها على الدوام منسدلا بإهمال كما هو الآن. لتتملكها نفس المشاعر التي كانت تغمرها في ذلك الزمن... ويا له من زمن بعيد. ولامست خصلة من شعرها تسويها حول وجهها، لتبعد يدها فجأة وقد شعرت بحماقتها. انها

لم تعد تلك الفتاة الصغيرة. ولكنها الآن امرأة ناضجة عاقلة. امرأة لا تحلم بأن تخرج الى الناس وكأنها استيقظت لتوها من النوم. وفي قول جيمس ان شكلها يبدو افضل من السابق. سبب كاف لأن يجعلها تقوم باصلاح ما أحدثته يداه في منظرها على الفور.

فتحت حقيبة يدها. وأخرجت منها شريطا مطاطيا شدّت به شعرها الى الخلف بشكل ذيل الحصان. ولم يكن هذا هو الطراز الذي تفضله عادة لشعرها. ولكن هذا كان افضل ما امكنها عمله على عجل. وفتحت باب السيارة وخرجت متجهة الى المقهى. توقفت قليلا لكي تستطيع عيناها مواجهة اشعة الشمس الساطعة.

كان جيمس جالسا الى مائدة بجانب نافذة وفي يده كوب من القهوة. رفع انظاره إليها وهي تسحب كرسيا لتجلس عليه الى جانبه. استقرت عيناه على شعرها، بينما أشاحت هي بوجهها بازدراء، كي لا يدلي بأي ملاحظة. ولكنه لم يقل شيئا. على كل حال. وهو يضع قائمة انواع الطعام امامها على المائدة. ثم يدير وجهه متطلعا من النافذة. عجبت من نفسها إذ شعرت بنوع من جرح الاحساس لهذا الالتفات الى قائمة الطعام. ولكنها وجدت ان من الصعوبة ان تركز افكارها على اختيار انواع الطعام. إذ كانت انظارها لا تنفك تميل نحو جيمس لتستقر على جانب وجهه وقصة شعره الأسود بسالفيه الفضيين اللذين ينحدران الى ياقة القميص المحيطة بعضلات رقبته القوية.

كم هو عمره؟ في أواخر الثلاثينات؟ ام اوائل الأربعينات؟ ان كاترين في السادسة عشرة من عمرها تقريبا، ومنطقيا يجب ان يكون عمره كما ظنت. لكن لم يكن ثمة إشارة الى ضعف في جسده القوي وكذلك في خطوط وجهه القوي. كان يبدو رجلا متكامل الرجولة والعنفوان... رجلا بالغ الجاذبية والازعاج الى حد كان تأثيره عليها أكثر مما يجب.

قال: «من الافضل ان نسرعي في اختيار ما ستأكلين لأننا سنتابع السير بعد نصف ساعة. وإذا كنت عند ذلك لم تنتهي بعد من طعامك فالذنب عندها. سيكون ذنبك. كما انني انبهك الى انني لن اطلب طعامي مما هو مذكور في قائمة الطعام.»

كادت تقفز من مكانها إذ كلمها فجأة. ورفعت عينيها إليه شاعرة بالذنب، ليتضرج بعد ذلك وجهها من شعورها بالحرج إزاء النظرة الساخرة التي بدت في عينيه. وقالت: «لقد جعلتني اشعر بعسر الهضم. انني متأكدة من ان خشونتك تذهب بشهيتي يا سيد مالك.»

ما الذي جعلها تقول ذلك؟ ربما كان ذلك بدافع النفي في اعماقها لأفكارها تلك بشأنه. وتصاعد شعور الحرج حتى كاد يحرقها. ولكنه لدهشتها، لم يتفوه بكلمة. بل ضحك. وبعث صوته العميق رجفة في أوصالها.

قال: «ربما كان مظهري خشنا... ولكن، أليس من المكر ان اكون رقيقا في أعماقي؟ هل تريدين ان تتأكدي من ذلك، يا سارة؟»

قالت: «انا... كلا.. طبعاً لا... كما انني لا أحب ان تدعوني باسمي الأول.»

قال وهو ينحني الى الامام مستندا بمرفقيه على غطاء المائدة الأبيض، متفرسا في وجهها بإمعان: «لماذا؟»

نظرت إليه لحظة ثم حولت انظارها عنه بسرعة وهي تتعجب لانحباس نفسها بهذا الشكل. وتحولت انظارها الى ذراعيه المتين لوحتهما الشمس. وازدرت ريقها بصعوبة في محاولة للتخلص من التوتر المفاجئ في عنقها. ماذا جرى لها؟ لماذا تتصرف كالمراهقات؟

نبهتها افكارها الى درجة رفعت معها انظارها لتصطدم بنظراته القوية التي كانت على بعد سنتمترات منها. وبدا ان الزمن قد توقف لحظات ليتركهما معلقين هكذا بعيدين عن العالم أجمع. ثم ابتسم ببطء وقال يكرر السؤال: «لماذا يجب عليّ ان لا اخاطبك باسمك الأول يا سارة؟»

قالت: «لأنني لا أحب ذلك.»

بدا جوابها هذا سخيفا حتى في اذنيها. وكان صوتها خافتا متقطعا وشعرت بالسخرية تجتاحه. أعادها ذلك الى وعيها لتتخلص من تلك الافكار الحمقاء التي ساورتها في لحظة خطرة. استقامت في جلستها وقد عاد الى ملامحها، دون وعي منها، ذلك البرود الذي اعتادت ان تقابل به الآخرين. وقالت: «لأنني افضل ان تبقى علاقتنا في حدود العمل الجاد. ليس ثمة مجال لأن تتجاوز علاقتنا حدود المعرفة التي اضطرتنا الظروف

الى ان يرغم الواحد على مرافقة الآخر. وكما ارى، ليس ثمة حاجة الى زيادة التالف بيننا.»

قال وهو يستعيد جلسته الطبيعية «هكذا»، نظر اليها ممازحا وهو يحرك حاجبه بشكل جذاب. «معنا النظر فيها» ولكن، ألا تظنين ان الامور ستكون اكثر سهولة لو حاولنا تطوير علاقتنا هذه؟ إننا، قبل كل شيء، يا سارة، علينا ان نمضي أغلب أيام الاسبوع القادم معا. ألا يدعو بقاؤنا على هذا الشكل، الى الأسف؟»

قالت «ان هذا لا يدعو الى الاسف وانما هو الواقع المنصفي. ذلك ان الاوقات التي نمضيها معا، ما هي إلا للبحث عن ابنتك.»

هل هي نبرة يأس تلك التي ظهرت في صوتها؟ لقد تمنت ان لا تكون كذلك. كما تمنت ان لا يلحظ هو ذلك. انها لا يمكن ان تبدي ضعفا وهي ترافقه. انه أكثر حنكة مع النساء منها مع الرجال.

قال «انني لا أنكر ان علاقتنا هي عملية. ان كل ما اقترحه، هو ان نجعل هذه العلاقة أكثر يسرا وراحة بقدر ما نستطيع. فنحن سنمضي عدة أيام ليال معا.»

لم يكن الامر بالشكل الذي وصفه في ذلك الصوت البطيء العميق الذي بعث الرجفة في أوصالها. وبقيت سارة ساكنة متوترة في انتظار الخوف الذي يتملكها اثر كلمات كهذه. ولكنها لم تشعر بهذا الخوف. لقد كانت الصدمة من القوة بحيث جعلتها تدفع كرسيها لتقف وهي تنظر اليه، قائلة «انني لا أدري ما الذي تسعى إليه

في ذهنك، ولكن دعني أوضح الامر هنا والآن. اننا لن نمضي أي ليلة معا بالشكل الذي تظنه.»

ارتسمت على شفتيه ابتسامة شبه قاسية، وهو يمعن النظر في وجهها بنظرات باردة برود الثلج، قائلا «إنك تظهرين اغرب المتناقضات يا سارة، ويخامرني شعور احيانا بأن عقلك يقول شيئا في الوقت الذي يقول فيه جسدك شيئا آخر مختلفا.»

قالت وهي تلتقط حقيبة يدها «انني لا افهم ماذا تعني بقولك هذا.»

امسك معصمها الرقيق بأصابعه القوية، وهو يقول «بل انت تفهمين. انت تفهمين جيدا ما اعنيه بقولي هذا. وهذا هو سبب خوفك. هل يخيف عقلك الصغير ان يتملك مثل هذا الاحساس؟ انه يمكنك ان ترغبي في رجل برغم الخطة التي وضعتها، وهي ان تمضي حياتك دون رجل.»

قالت «كلا.. إنك لا تعرف ما تقول. دعني اذهب. لا اريد ان آكل شيئا. سأنتظر في السيارة.»

لوت ذراعها لتتخلص من قبضته، ولكن أصابعه اشتدت حول معصمها وهو يمسكها بثبات ولكن دون خشونة. وقال «لا يمكنك ان تهربي دوما من الحقيقة، يا سارة. وفي بعض الأحيان، لا يمكنك انكارها. فهي ستظهر يوما بطريقة او بأخرى. وهذا مثال على ما يمكن ان يحدث، إذا بقيت تخفين رأسك في الرمال.» جذبها إليه حتى امكنه ان يحدق في أعماق عينيها وتابع قوله «لو

كنت سلمت. بينك وبين نفسك. بحقيقة شعورك هذا لربما لم يكن لشيء من هذا ان يحدث. ولما كنت كاترين الآن تعيش خارج افكارك.»

نظرت إليه بذعر لا تكاد تفقه ما يقول. وقالت: «انني...» قاطعها قائلا: «ارى انك قد فهمت اخيرا. أليس كذلك؟ لقد كنت انت من وضع فكرة الهرب في ذهن ابنتي. كلا. لا تحاولي الكذب. سواء علي أم على نفسك. بعد الآن. لقد سبق ورأيت أمثلة عن هذا من قبل... الخيبة تجد مخرجا لها. ماذا فعلت؟ هل ملأت رأسها بالكلام الخاطئ عن العواطف الشاعرية التي تشعر بها وهي تهرب مع فيليب؟ وغير ذلك من الترهات التي يهضمها عقل فتاة مراهقة؟ أليس كذلك؟ تلك الاشياء التي يقرأ عنها الشخص في الكتب... ويقع فتاة حلوة بريئة تحت تأثير اجنبي وسيم. ليبقيا معا يتحديان الآخرين؟»

كان صوته كالجليد. ولم تستطع سارة الحراك او الكلام او أي شيء آخر عدا الوقوف للاستماع اليه. وجعلها هذا. تبدو في عينيه اسوأ من ذي قبل. وقال: «ولا كلمة منك دفاعا عن نفسك؟ لقد عرفت ان الحق كان معي البارحة وقد وجدت الآن البرهان على ذلك.»

اطلق سبيلها وقد كسا الازدراء وجهه وهو يتابع قوله: «لقد ملأت رأس ابنتي بتصوراتك الناتجة عن خيبة أملك. لانك غير قادرة على إقامة علاقة ناضجة مع رجل.»

كان صوت الصفعة التي استقرت على وجهه، عاليا بحيث رن صداها في انحاء المقهى الذي ساده الصمت.

لقد كان من الشدة بحيث أجفلت منه هي نفسها. وبقيت لحظة واقفة تنظر الى مكان الصفعة الذي تحول الى لون أحمر. ثم استدارت على عقبيها هاربة.

امسكها في أسفل الدرج وهو يقول: «كلا. انك لن تفلتي من نتيجة فعلتك هذه.» كان يمسك كتفيها بخشونة وهو يديرها إليه. ولكن سارة لم تكن لتفكر بشيء من هذا. كان تفكيرها منحصرا في أنها. طوال تلك السنوات الماضية. قد غرقت الى الاسفل. وانها لن تدع نفسها تغرق بعد ذلك ابدا ولكنها كانت مخطئة. ذلك ان كلماته القاسية المهينة قد فتحت جرحا بقي كامنا في اعماقها زمنا طويلا. طويلا جدا. الى حد أنه ابتدأ الآن بالشفاء.

قال: «ان الحقيقة مرة لانها فرضت عليك. أليس كذلك يا سارة؟ ولكن. حان الوقت لتواجهي حقيقتك. وهي انك مجرد عانس محبطة تدس أفكارها في العقول البريئة.»

هزها بشدة الى ان بدأ وجهها بالتضرج وأخذت تدمدم بكلمات متقطعة. ثم وجدت في نفسها القوة فجأة لتدفعه عنها. وهي تقول: «كلا. انك مخطىء يا سيد جيمس. مخطىء... مخطىء... مخطىء...»

تصاعدت الهستيريا من صوتها وهي تجد المخرج في ضحكة خشنة مرة حاولت جهدها ان تكتمها. وقالت: «ليس لدي تصورات عاطفية ياسيد جيمس. إنما لدي كوابيس ليلية! اتريد ان تعرف لماذا؟»

www.rewity.com

كانت الآن ترتجف. إن في امكانها ان تشعر بها. ان تشعر بالتوتر يتملك جسدها. ان تشعر بالألم الذي سببه اتهامه القاسي لها. تابعت: «هل تريد حقا ان تعرف لماذا لم أضع مثل هذه الأفكار في عقل ابنتك؟ ولماذا لم أحاول وضع خطة لاجتذابك؟ لقد كنت...»

«عفوا سيدتي... سيدي.»

كان الاعتذار الرقيق من رجل يود الخروج من المقهى. قد نسف أفكارها مشتتا إياها كزجاج مهشم. وحدقت سارة بذعر في جيمس غير مصدقة ما كانت تريد قوله. ثم استدارت راكضة.. لقد ركضت وركضت حتى اصابها الاعياء... ولكنها لم تستطع ان تهرب من كوابيس الماضي.

الفصل الرابع

توارت الشمس وراء سحابة، مرسلة ظلاً على صفحة النهر.

اقتلعت سارة حزمة من الحشائش اخذت تفركها بين اصابعها. وقد شعرت برطوبتها الباردة على جلدها الحار الجاف. والآن مع تلاشي غضبها، شعرت بنفسها وكأن الحياة تغادرها لتتركها كصدفة فارغة. لقد حاولت جهدها، طوال سنوات، مراجعة مشاعرها وضبطها الى ان انهارت الحواجز خلال الاربع وعشرين ساعة الأخيرة، لتعود مرة اخرى، تلك الفتاة الضعيفة الهشة بعد ان حطم جيمس تلك الحواجز بأجمعها.

وجاءها صوته رقيقا لا يكاد يعلو عن همس النسائم بين اغصان الشجر: «انت بخير؟» ولكنها مع ذلك قفزت مجفلة ورمقته بنظرة من فوق كتفها وقد شعرت بالدم يتجمد في عروقها وهي تراه واقفا خلفها بعينين زائغتين. ما الذي كانت ستخبره به؟ وأحست بالغثيان لهذه الفكرة. فاستدارت بعيدا نحو النهر تحدق فيه. راجية ان يفهم من هذا انها تريده ان يتركها ويذهب. ولكن بدا عليه انه لا يعتزم ذلك. وجلس الى جوارها على حشائش الربيع الرطبة. وقد لف ساعديه حول ركبتيه ومضى يحدق هو الآخر، في مياه النهر الفضية التي تتدفق دون نهاية في طريقها.

قال متأملاً: «ان هذا المنظر يذكرني بموطني. ان منزلي قرب النهر. فانا لا أمل ابدا من مراقبة المياه. انني اجد في ذلك نوعا من الشعور بالسلام النفسي.»

هل توقع منها حقا ان تتبادل معه حديثا مهذبا بعد كل ما جرى بينهما؟ يبدو ذلك.

ولكن قبل ان يصدر عنها أي تجاوب تابع حديثه: «لقد صممت المنزل وشيدته من أجل زوجتي روث... والدة كاترين. لقد عشقت النهر وكانت دوما تطلب مني ان اشتري ارضا مناسبة هناك. ولكنك تعرفين كيف تحدث الأمور احيانا.. لقد بقيت انتظر في هذا الأمر إذ كانت تجابهني احيانا ضغوط تعيقني...» توقف عن الحديث لحظة وقد شحن الجو بنوع من الحزن مرّ مشاعر سارة. وتابع: «وعندما انتهى بناء المنزل. لم تعش فيه سوى اشهر معدودة قبل ان تموت. ان ذلك. احد الاخطاء القليلة التي ندمت عليها في حياتي. وهو أنني لم أبن المنزل حالما طلبت مني ذلك. كي تعيش فيه مدة أطول. ولكن هذا ما يحدث احيانا. والندم لا يمكن ان يغير شيئا.» وتحول عند ذاك. ينظر إليها مباشرة لتشعر سارة بشيء من التوتر. في نظرته تلك. لم تشعر به من قبل. تابع قائلا: «لا يمكنك تغيير الماضي يا سارة. عليك ان تواجهيه وتتقبليه... مهما كان.»

توهج وجهها وهي تلقي بانظارها بعيدا. الى أي مدى وصل تخمينه عنها؟ فهي لم تستطع ان تتذكر تماما كل ما قالته في تلك اللحظة. ولكنها بالتأكيد. لم تكشف

ذلك السر الذي بقي مكتوما في نفسها زمنا طويلا.

قالت: «ليس لدي فكرة عما تتحدث عنه يا سيد جيمس. ولهذا. انصحك بأن توفر نصائحك لمن يحتاج إليها اكثر مني.»

قال بصوت لا يتم عن شيء. وما زال يرمقها بنظرات هادئة: «قولي جيمس. ألا توافقينني على هذا؟ انني افضل ان تخاطبيني باسمي الأول.»

اجابت: «لماذا؟ أتظن ان هذا يصلح ما قلته لي من قبل؟ كل تلك الاتهامات الباطلة؟ أم لأنك تشعر بالأسف إذ اسأت إلي؟» نظرت إليه. وقد هاجت مشاعرها الى درجة لم تستطع معها ان ترى شيئا اخر خلف ذلك. وتابعت: «حسنا. انني اشكرك كثيرا. يا سيد جيمس. ولكن. أظن انني سأتجاوز قبول ذلك الشرف كما أنني لا أريد منك اعتذارا او شفقة.»

حاولت ان تقف على قدميها وقد أصابها الهلع لفكرة انها قد تنهار فجأة فتثير بذلك احتقاره. ولكنه قبض على ذراعها وجذبها لتسقط على ركبتيها أمامه. كان قريبا منها الآن. بحيث أمكنها رؤية الخطوط الدقيقة في زاويتي عينيه وظلا اسود للحية. ابتدأ يكسو فكه. وأخبرتها غريزتها نتيجة لخبرتها في الماضي. انها يجب ان تخاف من القرب منه بهذا الشكل. ولكن هذا لم يكن يعبّر عن شعورها ابدا وقد سبب لها هذا. صدمة.

قال: «لم أكن لأعني أيا من هذين يا سارة. فأنا لست من الحماقة بحيث أظن انك بحاجة إليهما. كل ما اريده

هو صفاء علاقتنا. ولكن من الواضح ان ذلك هو شيء لاترغبين فيه.» وهز رأسه لتسقط خصلة من شعره على جبينه. وشدت سارة على قبضتيها. وهي تعجب من الرغبة المفاجئة التي شعرت بها في ان ترد هذه الخصلة الى الخلف. لتشعر بنعومتها الحريرية بعد تلك الغلظة من الرجل. وتابع حديثه قائلا: «إنني لا أدري ماذا حدث لك في الماضي، يا سارة. ليوجهك في هذا السبيل. ولكن لا بد ان يكون شيئا مأساويا.»

شعرت بالتشنج وهي ترفع إليه انظارها متنبهة وقالت: «لا أدري ما الذي تعنيه. لم يحدث لي شيء في الماضي، لا شيء.»

ابتسم برقة تتعارض مع النظرة الفاحصة إليها. وأخفضت نظرها الى يده التي ما زالت تقبض على ذراعها.

قال: «كلانا يعلم ان هذا كذب. فإن ما حدث لك قد تركك في خليط من المشاعر. ان تضعين حولك هالة من البرود. ولكن دعي أي واحد يخدش سطح ذلك بشيء من التعمق. لتبرز حقيقة كونك مجرد طفلة لا تفتأ هاربة من كابوس ما. ولا عجب ان تجدي صعوبة في ان تعيشي حياة حقيقية. يا سارة. لقد امضيت الوقت منطوية على نفسك معتزلة الحياة لخوفك من مواجهتها. وهذا هو السبب في انك ملأت ذهن كاترين بكل تلك الحماقات.»

نفضت ذراعها منه وهبت واقفة على قدميها وهي تقول غاضبة مستغربة هذا الدافع الغامض الى ايذاء

بالإصرار على هذا الاعتقاد: «انك مخطىء. مخطىء كليا. ولكن من الواضح انني لن استطيع إقناعك بهذا. فلماذا أكرر المحاولة؟ لقد حان الوقت لأن تتوقف كل هذه الاشياء السخيفة بيننا. بعد ان اتضح بأننا لن نستطيع التعامل مع بعضنا البعض بأي قدر من الانسجام. وأظن انه حان لنا ان ننفصل. سأعود الى المقهى وأتصل هاتفيا بالفندق لأطلب من السيدة لورنس ان توافيك الى ليموج. وهذا لن يسبب كثيرا من التأخير.»

وقف بهدوء يشرف عليها بقامته وقد ساد وجهه لمحة من عدم رضى. سبق واعتادتها. قال: «لا ضرورة لذلك. لقد رتبنا الأمور على أساس ان ترافقيني وهذا ما سيكون عليه الأمر. وليس في نيتي ان أغير من هذه الخطة.»

اجفلت ثم قالت وقد توترت اعصابها: «إسمع يا سيد مالك...» وتوقفت عن الكلام وقد جمد الدم في عروقها، بعد ان وضع اصبعه على شفتيها يمنعها من الادلاء بكلماتها الملتهبة وقال: «وفري على نفسك الكلام. انك ستأتين معي للبحث عن كاترين حتى ولو اضطرني الأمر الى ربطك وجرك معي. ان ماحدث من قبل لن يغير من الأمر شيئا. ان ما يهمني فقط هو العثور على ابنتي، وليس إلغاء ارتباطاتك. لقد كنت مشغولة عنها اثناء الرحلة، وما زلت مسؤولة عنها الى حين عودتها إليّ سالمة. والآن، اظن ان الوقت قد حان لكي نتابع السير. فقد ضيعنا من الوقت ما فيه الكفاية حتى الآن وشكرا لك على كل حال.» واستدار عائدا الى الطريق، تاركا

سارة تحدق في أثره وقد بان الاجرام في عينيها. انه اكثر الرجال الذين شاء سوء حظها ان تقابلهم، عجرفة وصفاقة الى درجة غير محتملة. إنه لا يعترف بشيء او بانسان. إنه فقط يريد ان تعود إليه ابنته لكي يعود الى حياته الاولى دون أي عائق.

تبعته وقد تملكتها ثورة صامتة. ودخلت الى السيارة تجلس في مقعدها بعد ان صفقت الباب خلفها بشدة.

انطلق بالسيارة بعد ان رمقها بنظرة قاسية. وهو يقول: «بدلا من الجلوس والتفكير في تسوية الأمور معي يا سارة. اقترح ان تحاولي الرجوع بذاكرتك الى أي شيء يمكن ان تكون كاترين قد قالته، مما قد يعطينا إشارة الى المكان الذي قد تكون قصدته. انني لست متشوقا الى البقاء في صحبتك كما انت غير متشوقة الى البقاء في صحبتي. ولهذا، كلما كان العثور عليها سريعا، ذهب كل منا في طريقه.»

استدارت سارة إليه ومنحته ابتسامة ساخرة لتقول بصوت يقطر حقدا: «يا لهذا التفكير الرائع! صدقني يا سيد جيمس، انني سأرهق ذهني في التفتيش عن أي معلومات قد تكون صدرت عنها، إذا كان في ذلك ما يسرع بنا الى هذه النهاية.»

توقعت منه ان يغضب، ولكنها اجفلت إذ رأته ينفجر ضاحكا وهو يخرج بالسيارة الى الطريق العام، ويقول: «حسنا حسنا يا سارة... من أين جاء كل هذا؟»

اجابت: «ماذا؟ لا أفهم عما تتكلم؟»

امتلأت عيناه بالسخرية وهو يرمقها بنظرة سريعة: «ماذا؟ أذكر انه قبل أقل من أربع وعشرين ساعة، كان من عادة الآنسة مارشال المتحفظة المحتشمة ان تنطق بأجوبتها بنبرة حادة خاطفة... يبدو ان السبب هو تغيير شكل شعرك وإسدال على كتفيك.»

تضرج وجهها لسخريته الباردة وشاحت بوجهها وقد شعرت بالكراهية نحوه، خصوصا وهي تشعر رغما عنها ان ما قاله صحيح. انها لم تكن لتتجاوب بهذا الشكل من قبل. كلا، ولم تكن لتتحدث بمثل هذه اللهجة مع أي من آباء تلميذاتها! كانت دوما تبدو بمظهر عملي يسوده الكبرياء والبرود اثناء تعاملها مع الآباء، حتى مع بالغي الحدة والعصبية منهم. فماذا حدث بالنسبة الى جيمس ليجعلها تنسى مثالياتها في إثارة حساسيتها بطرقه الخاطئة كلما تحدث إليها؟ أم ان هناك سببا آخر لذلك؟ سببا هي على غير استعداد للتنقيب عنه في اعماقها.

لقد عاشت طوال تلك السنين الطويلة الموحشة في عزلة خالية من المشاعر، ولكنها الآن، تشعر بنفسها غير قادرة على الاحتفاظ بهذه الحواجز أكثر من ذلك. وفجأة شعرت بالخوف.

كانت الرياح تهب، ليدخل الهواء البارد الى السيارة باعثا البرودة في أوصالها. ولكن سارة لم تتحرك لتقفل النافذة، بل أخذت تجيل النظر من خلالها في أسطح القرميد التي يغمرها ضوء القمر، وعاد بها التفكير الى حين هطول المطر منذ ساعات وهما في الطريق مما

أعاق قيادة السيارة. ولكن ذلك ما كان ليقلل من عزيمة جيمس الذي بدا التصميم على وجهه وهو يتابع سيره على الطرق الفرعية دون ان يبدو عليه التعب. لقد أخذت سارة حين ذاك، تتساءل عما إذاكان ينوي السير طيلة الليل ولكنها لم تسأله. كما انها لم تطلب منه التوقف. انها لن تطلب منه شيئا كما انها لن تعطيه شيئا كذلك. وبدا لها ان ذلك هي الطريقة المثالية للتصرف معه، اثنا، هذه العلاقة المزعجة بينهما.

شعرت بالراحة عندما عاد اخيرا الى الطريق الرئيسي. ليتبع الإشارات الى هذه المدينة الصغيرة ليخبره باختصار انهما سيمضيان الليلة فيها. لقد كان رأسها يكاد يتصدع من صوت محرك السيارة، عدا عن التوتر مما جعلها ترحب بهذه الفرصة للراحة من هذين الامرين.

اغلقت النافذة وهي تتأوه بضعف، وجالت بنظارها في انحاء الغرفة متسائلة عما إذا كان الامر يستحق ان تفرغ محتويات حقيبة ثيابها. كانت الساعة التاسعة تقريبا وهي تدرك تماما ان جيمس لا يحب التأخر في الصباح. فهو يتوقع منها ان تستيقظ مع الفجر وربما اعترض بمرارة إذاهي تأخرت عدة دقائق. ولهذا من الأسهل عليها ان تبقي ثيابها في الحقيبة بدلا من تعليقها في الخزانة التي تفوح منها رائحة الرطوبة. ومن ثم تستعد للنوم.

ابتدأت بفك ازرار قميصها عندما قفزت بتوتر وهي تسمع

صوت نقر على الباب. فأسرعت تعيد إقفال الأزرار وقد تضرجت وجنتاها وهي تستعيد ذكرى الليلة الماضية. لقد احتاطت هذه الليلة بإقفال بابها حالما دخلت الغرفة. ولكن، لم تكن ثمة طريقة لمنع ذكرياتها المضطربة من ان تعود الى فكرها. فذكرياتها تلك ستبقى تلازمها مدة طويلة. ولم تدهش وهي ترى جيمس يقف خارج الغرفة نافد الصبر عندما فتحت الباب. ولكن الامر كان مزعجا بشكل غريب. لقد حرك منظره مشاعرها بشكل وحشي، إذ جعل الدم يجري في عروقها بشكل أثار اضطرابها العميق. لماذا يزعجها هذا الرجل بهذا الشكل؟ لو انها تعرف جواب هذا. إذن لربما عرفت كيف تتصرف معه. ولما أحست بالضيق الى هذا الحد الذي بدا في لهجتها الحادة، وهي تسأله: «نعم، هل تريد مني شيئا؟»

رفع حاجبه وهو يقول: «الافضل ان تضعي معطفك. فما زال المطر يهطل خارجا.»

قالت: «معطفي؟ ولماذا؟»

اجاب وهو يجتاز الباب الى الداخل: «لأننا نريد ان نتناول شيئا من الطعام.» وجال بنظاره في انحاء الغرفة ذات الأثاث الثقيل القديم الطراز. واستندت سارة الى الجدار متجنبة لمسه حين مر بجانبها. وقد شعرت بدمها يجري هادرا في عروقها عندما ألقى عليها نظرة ذات معنى وما لبث ان قال بصوت ناعم ملي، بالسخرية: «لا تقلقي، فانا لا انوي ان اكرر غلطة الليلة الماضية.» ورفع يده الى وجهه لافتا انتباهها الى أثر الخدش على وجنته النحيلة.

www.rewity.com RAYAHEEN

الذي كان قد ابتدأ بالالتئام وتابع: «لقد كنت ابحث فقط عن معطفك لكي لا نضيع الوقت دون ضرورة.»

كان من الصعب عليها التزام الهدوء أمام مثل هذا الاستفزاز، ولكنها حاولت ذلك وهي تقول: «شكرا يا سيد جيمس فانا لست في حاجة الى معطف، لانني لا اريد الخروج معك لتناول الطعام. كما انني لست جائعة.»

قال: «اخشى انك لم تفهمي قصدي يا سارة. فهذه ليست دعوة، بل أمر مني. والآن، ارتدي معطفك وكفى تضييعا للوقت في الجدل.»

قالت بحدة: «أمر مني؟ ومن تظن نفسك؟ هل تتصور حقا ان في إمكانك ان تأمرني بأن أكل وكأنني طفلة؟» واشتدت الثورة في نبرات صوتها وهي تتابع: «دعني أكرر ما قلت يا سيد جيمس، إنني لا أنوي الخروج لتناول الطعام. والآن، إذا كان هذا مفهوما. هل تتفضل بالخروج؟» وفتحت الباب على مصراعيه وقد توهجت عيناها بالغضب.

بادلها نظراتها بهدوء دون ان يتحرك، وهو يقول: «لقد اوضحت الأمور جيدا يا سارة، ولكن رأيك لا يهمني كثيرا. كل ما يهمني هو ان اعثر على كاترين، ولهذا انا بحاجة لمقابلة أي شخص قد يكون رآها.» اخرج من جيبه الخارطة وناولها إياها وقد بدت في عينيه نظرة جامدة كحجر الصوان. تابع: «انظري جيدا الى ما كتب على الهامش. الكتابة غير واضحة ولكن يبدو انها تتضمن إسم هذا المكان. لا بد انهما انطلقا في الطريق

الذي صمما عليه ثم. وهذا محتمل جدا. ان هذا المكان هو ما اعتزما المبيت فيه. ومن الممكن ان يتذكر شخص ما رؤيتهما. والمقهى المحلي هو اكثر الأمكنة احتمالا لذلك. لا بد انهما تناولا الطعام في مكان ما. ولهذا أنوي ان اسأل في ما حولنا. وأنت يا عزيزتي سارة ستأتين معي. برغم انك بصراحة لم تكوني حتى الآن سوى عائق. ولكن، يمكنك ان تسدي ثغرة بالنسبة الى معرفتك باللغة الفرنسية.» ونظر في ساعته وقد تصلبت ملامحه. تابع: «والآن، إذا لم يثقل عليك كلامي. هل لك ان ترتدي معطفك لكي نبدأ مسيرنا قبل ان يذهب كل شخص الى سريره؟»

لماذا هو دوما يشعرها بانها حمقاء. تماما؟ توهج وجهها وهي تتناول معطفها من على المشجب خلف الباب. ثم ترتديه لتسير أمامه دون كلمة اخرى. مع ان كلمات كثيرة مرة كانت تحوم في بالها. وكانت تلك هي المشكلة بالطبع... بدلا من مناقشتها مقدما كما تفعل عادة. كانت تميل الى ان تقفز دون إبطاء، عندما يتكلم جيمس، مبديا وجهة نظره بكل كلمة وحركة بشكل هجوم شخصي. ومن الطبيعي ان يكون مظهرها الى البدء بالسؤال حالا عن مكان كاترين. فقد كان هناك دوما احتمال في إمكانية وجودها فيه.

كان المطر ما يزال ينهمر في الشارع الهادئ، عندما خرجا من نزل الاوبرج. ورفعت سارة ياقة معطفها الى ذقنها، ثم قفزت بعصبية عندما

أمسك جيمس بذراعها يقودها نحو جانب الطريق. قال: «لقد فهمت من موظفة الاستقبال ان المقهى في مكان ما في نهاية الشارع لنسأل عن موقعه.»

اومأت سارة برأسها وهي تحاول عبثا ان تخلص ذراعها من قبضته. وقال: «هل تشعرين بمثل هذه العصبية دوما عندما يلمسك احد؟» والقى عليها نظرة. بينما كسا وجهه الظل عندما توارى القمر وراء سحابة كثيفة. وتابع: «أم لعل ذلك معي انا فقط. إذ تبدو ردة فعلك تجاه أقل لمسة مني وكأنك تعتبرينها نوعا من التعدي.»

اجابت: «لا تكن سخيفا. هل لأنني لم اتعود على ان يقودني رجل، يعتبر ذلك عصبية مني؟»

قال: «يقودك رجل؟ لقد كنت اقدم إليك يد المساعدة بكل أدب، ذلك ان الأرض غير مستوية هنا.»

لم تخطئ في نبرة المزاح في صوته العميق. وانتزعت ذراعها من يده وهي تقول: «حسنا انني لا اريد مساعدتك. واشكرك كثيرا. فإنني قادرة تماما على السير دون مساعدة من احد يا سيد جيمس. لهذا وفر مساعدتك المؤدبة لمن يعرف قيمتها.»

هل هو الحظ الذي وضع حفرة موحلة في منتصف الطريق، ليجعلها غير قادرة عن رؤيتها وهي تتقدمه في السير مائلة برأسها في كبرياء؟ لم يكن لديها أي فكرة عن ذلك. سوى انها كانت تسير للحظة. وفي اللحظة التالية كانت غارقة حتى كاحليها في الماء الموحل المثلج. وبقيت لحظة متجمدة مكانها. لتنشل نفسها بسرعة بعد

ذلك من الوحل مسرورة، إذ وارى الظلام خيبتها عن عيني جيمس وهو يقف يراقبها صامتا.

اخرجت من جيب معطفها منديلا ورقيا ثم انحنت تمسح البقع القذرة عن كاحليها. وهي تتمنى لو كانت تبعد عن هذا المكان ملبون ميل. لماذا لم يقل شيئا؟ أي شيء حتى ولو تعييرا لها بقوله، لقد قلت لك، وذلك بدلا من وقوفه يراقبها بهذا الشكل؟

رفعت نظرها إليه، لتشعر بضبعها يكاد ينفجر وهي تراه يضحك بصمت على عدم جدوى محاولتها تنظيف نفسها. فألقت بالمنديل جانبا ثم استدارت عائدة من حيث اتت، مستخفة بمحاولته إعادتها.

قال وقد حلت مكان ضحكه برودة جعلت الدم يتجمد في عروقها: «الى اين تظنين نفسك ذاهبة؟»

اجابت: «انني عائدة الى نزل الأوبرج طبعا، إذ لا يمكنني الذهاب الى أي مكان بهذه الحالة.»

هز رأسه، ودفع الهواء خصل الشعر عن جبينه، ليبدو وجهه في ضوء القمر قويا عابسا. قال: «تعالي اننا لن نضيع الوقت اكثر مما فعلنا هذه الليلة.» وجذبها من ذراعها وهو يسير بها قدما. ولكن سارة قاومته بقوة أدهشتها هي نفسها. نظرت إليه ساخطة وهي تقول: «ولكن من تظن نفسك لكي تأمرني بهذا الشكل؟ انني لن أذهب معك الى أي مكان يا جيمس الى ان اعود نظيفة جافة.»

امسكها بذراعيها وانحنى ينظر في وجهها قائلا: «لا

يهمني لو كنت مغمضة بالوحل من رأسك حتى اخمص قدميك، ايتها السيدة. ولايمكنك ان تذهبي الى اي مكان قبل ان ننجز ما نحن بسبيله. لقد أدركت منذ البداية ان ليس لديك اي اهتمام بمصير كاترين، ما عدا ان اختفاءها أدخل الفوضى الى برنامجك الرحلة. ولكنني مهتم جدا وٱحتاجك كمترجمة. ولهذا ستبقين معي سواء شئت أم أبيت. فدعينا نسلك ذلك السبيل السهل بدلا من السبيل الصعب. ما دامت النتيجة هي واحدة فاختاري يا سارة ولكن بسرعة. لأن صبري قد قرب من ان ينفذ.»

لماذا أصرت على الجدال في الوقت الذي كانت تعلم فيه انه يعني كل كلمة قالها؟ لماذا لم تمتثل للأمر بهدوء محتفظة بكرامتها؟ لقد كان هذا، بطبيعة الحال، ما يجب عليها عمله، ولكن...

قالت: «ماذا تعني بقولك السبيل السهل والسبيل الصعب؟ هل تهددني؟ دعني اخبرك هنا و... أوه!»

اخترقت صرختها الحادة ظلمة الليل. وهو ينحني ثم يرفعها على كتفه ثم يستمر في سيره. بقيت سارة ترتجف من الصدمة وهي لا تصدق ما حدث. ثم أخذت تضرب بقبضتها على كتفيه وهي تصرخ به: «انزلني... كيف تجرأ.. إنك.. إنك...!» لم تجد الكلمات التي تتناسب مع مثل هذا الحدث. وثارت ثائرتها لعجزها عن التعبير عما تشعر به. فأخذت ترفسه بقدميها وقد شعرت بالسرور، وهي تسمعه يشتم بعنف حين رفسته بقدميها على معدته.

وقف وأنزلها جانبا وقد ثارت ثائرته وهو يقول: «افعلي ذلك مرة أخرى لكي أنسى انني سيد مهذب.»

قالت: «هيه! إنك لا تعرف صفات الرجل المهذب. ان الرجل المهذب لا يرغم سيدة على الذهاب معه رغما عن إرادتها.»

ابتسم ببرودة، وقد اشتعلت عيناه كلهب أسود وهو يبادلها النظر قائلا: «ربما انا لست كذلك. ولكنني انا ايضا لا اصنفك كسيدة مهذبة يا سارة.» وأمسك بيدها يدعك بأصابعها أثر الخدش في وجنته. وهو يتابع: «ليس ثمة سيدة مهذبة تفعل هذا. وأظن ان هذا يجعلنا متعادلين.»

ارتجفت سارة وهي تتنفس بعمق. كل ما فعلته هو انها لمسته... لامست أصابعها وجهه الخشن.. فلماذا جعلها هذا تشعر بمثل هذا الاحساس الغريب؟ اغمضت عينيها خوفا من ان يقرأ فيهما افكارها. وقالت اخيرا: «دعني أذهب يا جيمس ارجوك.»

لقد خاطبته باسمه الأول دون وعي منها، وهي تحاول تمالك مشاعرها بعد ان شعرت بأن اعصابها قد ارتخت تماما. ولم تدرك ما فعلت إلا بعد ان قال: «ربما. على كل حال قد نجحنا نوعا ما، انني لن اتعود معاملة النساء بمثل هذه الغلاظة يا سارة. ولكن يبدو ان هذه المعاملة قد نجحت في القضاء على تشددك.» ابتسم بهدوء وهو يتطلع الى وجهها المتسائل. وتابع: «لقد خاطبتني باسمي جيمس. وهكذا ربما استطعت ان اخترق تلك

الدرع الحديدية التي تقين بها نفسك.» وتراجع بضع خطوات الى الخلف.

لكن سارة احست بانه سيعيدها الى مكانها إذا هي حاولت مرة اخرى العودة. ولهذا، ثبتت في مكانها لكي تتجنب أي إشكال مهين آخر معه، كما حدثت نفسها. وهذا ليس له أي علاقة بذلك الشعور الغريب بالضعف الذي تملكها. هزت كتفيها متظاهرة بعدم الاهتمام، وهي تقول: «السيد مالك ألبستر... جيمس... ما المهم في هذا؟؟ والآن، هل نتابع سيرنا إذا كنت ما زلت مصرا على الذهاب الى ذلك المقهى؟ لقد تأخرنا.»

تنحى جانبا داعيا إياها بسخرية الى التقدم أمامه وهو يقول: «تقدميني. انني مسرور إذا استطعنا التفاهم اخيرا يا سارة. فهذا يسهل علينا الأمور بدل تضييع الوقت بالجدل.»

ارتابت من قوله هذا، إذ لم يكن ثمة طريقة لجعل علاقتهما تسير بسهولة، وذلك من وجهة نظرها. فقد سبق ورأتها معقدة الى حد لا يصدق. كان الامر في الواقع مختلفا عن كل شيء سبق وعرفته من قبل.

سارا بصمت الى ان وصلا المقهى الذي كان دهانه المتساقط واضحا حتى في الظلام. وبدا لهما مقفرا. ولكن، ما ان دفع جيمس الباب حتى دهشت سارة وهي تراه غاصا بالزبائن. ترددت برهة وهي تشعر بعدم الارتياح للطريقة التي توقفت فيها الاحاديث ساعة دخولهما. ولكن اصابع جيمس اشتدت حول مرفقها

تطمئنها. فرمقته بنظرة، لتراه يجول بأنظاره متفحصا في أنحاء القاعة التي يملأ جوها الدخان. وبدا لها ضخم الجسم فظا عدائي المظهر في وقفته تلك. وفجأة، تملكها شعور بالأمان لم تشعر به من قبل، مهما كان مقدار اختلافهما، فإن جيمس سيحميها. لقد احدث إدراكها هذا أول شرخ في جدار الخوف الذي أحاطت نفسها به طيلة السنين الماضية.

أشار الى طاولة صغيرة في زاوية القاعة، قائلا: «فلنجلس هناك.» وقادها إليها وهو مازال قابضا على ذراعها ليجلس على كرسي قبالتها. ونظر حوله مقابلا نظرات بعض من كان يرمقه من الجالسين الذين كانوا يراقبونهما. ولأمر ما، لم تدهش سارة وهي تراهم يبعدون عنها انظارهم. لقد كان ثمة ما يبعث على الخوف في الطريقة التي جلس فيها جيمس يبدو، تحيط به هالة من القوة والثقة بالنفس. وكانت متأكدة من ان الرجال الذين قد يفكرون بتحديه، هم قليلو العدد.

تقدم رجل الى طاولتهما مستفهما بجفاء: «نعم يا سيدي؟»

طلب منه جيمس إحضار كوبين من القهوة دون ان يهتم بسؤال سارة عما تطلبه. وانتظر ابتعاد الرجل ثم نظر إليها، وضاقت عيناه وهو يرى إشارة خفيفة في زاوية فمها تعني عدم الرضا. وقال: «انني اعلم من دون ان تقولي لي... انك لا تحبين القهوة.» وأخرج من جيبه علبة سجائر اشعل منها واحدة قبل

ان يتابع قوله: «ولا شك انك تكرهين رائحة الدخان».
هزت كتفيها وقد كرهت حقيقة ان في امكانه قراءة مشاعرها ببساطة. وقالت: «إذا كنت تريد ان تدمر صحتك بالتدخين فهذا شأنك. اما بالنسبة الى القهوة، حسنا، يبدو انني سأستمتع بفنجان منه الآن».
رفع حاجبه القاتم وأخذ نفسا من سجارته ثم نفس الدخان في السقف. وقال: «انك تدهشينني. لم اكن أظن انك تسمحين لأي نوع من القهوة ان يلمس شفتيك. هل توقعت رئيستك ان من الممكن ان تستمتع الآنسة مارشال البالغة الاستقامة بمذاق القهوة؟»
تصاعد الدم الى وجهها لدى استفزازه هذا ونظرت بعيدا. لماذا يستمر في هذا؟ ما الذي يسره في ان يذكرها على الدوام بوضعها؟ اجابت: «انني موظفة حرة لا يهم احدا ما افعله في خارج ساعات الدوام يا سيد...» وتوقفت حين لاحت على شفتيه ابتسامة ذات معنى. وازداد احمرار وجهها. ولكنها اكملت كلامها قائلة: «جيمس».
قال: «احقا؟ ان الامر يبدو كصدمة لي في الواقع. ذلك انني كنت اظن ان ساعات الدوام لا تنتهي. ان حياتك بأسرها تدور حول وظيفتك دون أي شيء آخر. المهم هو الغوص في الأعماق يا سارة. ولكن هذا ليس سبب وجودنا هنا على كل حال. عندما يأتي الرجل بالقهوة اريد منك ان تسأليه إذا كان يتذكر رؤية كاترين هنا ومتى كان ذلك». وبحث في جيوبه ثم أخرج صورة

تفرس فيها لحظة وقد كسا الألم ملامحه ثم ناولها إياها.
اخذت سارة الصورة الصغيرة وتفرست فيها كما فعل هو. وقد عجبت لكونها لم تدرك من قبل مقدار شبهها لأبيها. الذقن. الفم. وارتفعت عيناها الى فم جيمس تتأمل شفتيه الخاليتين من الرقة التي تتميز بها شفتا كاترين. كانت شفتاه قاسيتين ثابتتين.
صدمت لاستغراقها في مثل هذه الافكار، وارتفعت نظراتها رغما عنها الى عينيه الواسعتين الباردتين اللتين في امكانهما كشف ما تتم عنه عيناها. انها لم تفكر مطلقا في قد رجل من قبل. وكانت صدمتها أشد إذ وجدت نفسها تفكر بهذا بالنسبة الى جيمس من بين كل الناس.
مد يده يلامس يدها على الطاولة سائلا: «ماذا جرى؟»
اخرجتها بسرعة واصابعه على يدها الخائنة من أفكارها الجنونية. ارتجفت وهي تسحب يدها من تحت يده لتضعها في حضنها. وهي تقول: «لا شيء».
سألها بفضول أخافها: «هل انت متأكدة؟»
كم سيسخر منها لو انه اكتشف ما يجول في أفكارها وتابعت: «لا شيء مهما كما قلت لك...» وشعرت بالارتياح وهي ترى الرجل يعود بالقهوة. وسرت لتغيير الموضوع. وقبل ان يستدير الرجل راجعا. استوقفته تربه الصورة سائلة إياه إذا كان قد سبق له رؤية صاحبتها.
ألقى عليها نظرة. ثم وضعها على الطاولة وهو يهز رأسه نافيا وهو يستدير ليذهب. ولكن شيئا جعل سارة تصر

www.rewity.com ARAYAHEENA

على تكرار السؤال. وقد بدا صوتها حادا متسلطا. ليدلي هو بجواب مختصر وهو يسرع مبتعدا.
قال جيمس بصبر نافد: «حسنا. هل افهم من هذا انه لم يرها؟» وأمسك بالصورة وهو ينظر الى سارة عابسا.
تنفست وهي ترتجف محاولة استعادة الكلمات التي قالها ذلك الرجل لئلا تكون مخطئة في الاستنتاج، وإن كانت واثقة بخلاف ذلك.
عاد جيمس يقول: «حسنا قولي أي شيء. لماذا تتلكئين؟» وسكت منتظرا جوابها.
أسرعت بالقول: «لقد قال...» وتوقفت وهي تزدرد ريقها مقاومة الخوف الذي انتابها فجأة. لتقول اخيرا: «لقد قال انه لم يرها.»
بانت في عينيه دلائل الخيبة ليغمضهما وهو يقول: «لقد فهمت. أن الامر كان يستحق المحاولة...» تناول فنجانه وأخذ منه رشفة، ثم اعاده الى الطاولة.
امسكته سارة من ذراعه بشدة قائلة: «كلا... انك لم تفهم يا جيمس. لقد قال إنه لم يرها ولكنني لم أوجه إليه سؤالي بهذا المعنى. لقد سألته ما إذا كان يتذكر رؤيته لكاترين ولم أذكر ما إذا كانت برفقة رجل.»
اشتدت قبضته حتى كادت تحطم فنجان القهوة الممسك به. وأخذ يحدق فيها بنظرات فولاذية. فقال: «هل انت متأكدة يا سارة؟ متأكدة تماما؟ لعلك مخطئة. ربما لم تفهمي قوله؟»
قالت: «كلا. إنني اعلم ان فكرتك عني غير حسنة. ولكن

الشيء الذي أحسنه جيدا هو ما أقوم به لأجل معيشتي. فأنا معلمة اللغة الفرنسية ياجيمس. وأتكلمها بشكل جيد جدا. انني لم اخطئ. لقد كان ما قاله الآن واضحا جدا في صدد الموضوع الذي نحن بسبيله.»
قال وهو يشرب ما بقي من فنجانه: «ان ما نحن بسبيله هو ان نرى ما يدور هنا. وهذا ما سنفعله.» ووقف بينما أزاحت سارة كرسيها وهي تشعر بالخوف، إذ رأت ما ارتسم على ملامحه وهو يضع شيئا من النقود على الطاولة ثم يلتقط الصورة ويعيدها الى جيبه.
تبعته الى خارج المقهى تكاد تركض لتلحق به وهو يسرع في الشارع. وأمسكته من يده لاهثة. وهي تقول: «ارجوك يا جيمس انتظر. اخبرني عما ستفعله؟»
استدار ينظر إليها. كانت عيناه خاليتين الآن من أي سخرية. او تلك الضحكة الثائرة التي اعتادت رؤيتها منه. كل ما رأته في تلك العينين السوداوين هو الغضب الذي بدا وكأنه موجه إليها.
قال: «انني سأعيدك الى نزل الأوبرج وبعد ذلك ارى ماذا حدث هنا.»
قالت: «دعني ابقى معك يا جيمس. كن عاقلا. فإنك في حاجة الى من يساعدك في توجيه الاسئلة.»
هز رأسه وقد كسا ملامحه ازدراء طعنها في قلبها. وقال: «لا اريد مساعدتك بعد الآن. سأحاول التفاهم معهم. إنني متأكد من ذلك.»
قالت: «ولكن ماذا سأفعل أنا؟»

ضحك. لم يكن في ضحكه ذاك أي مظهر للمرح. كان فيه صدى لشيء جعلها تجفل. وقال:«دعي يا سارة ادعي فقط.» وفجأة، تحرك بواجهها ممسكا بذقنها ووجهها إليه ليمكنه التحديق في عينيها. وأمسكت هي انفاسها وهي ترى الغضب في عينيه وهو يقول:«ادعي ان لا يكون ثمة شيء قد حدث لابنتي. وشكرا لك.»

تركها فجأة فاهتزت في مكانها ليستدير راجعا الى الطريق. تبعته صامتة وقد شعرت بالدموع تحرق جفنيها. انه يكرهها. وليس في ما قالته او فعلته ما جعله يغير من اعتقاده. انه مازال يعتقد انها وراء اختفاء كاترين. والآن كل ما في إمكانها عمله هو كما قال لها... ان تدعو لعودة كاترين سالمة. ولكن إذا هي اضافت دعوة منها ان يلهم جيمس قبول الحقيقة يوما ما ويسامحها... عند ذاك من هو الذي سيعرف ذلك سواها؟

الفصل الخامس

لم تستطع سارة ان تشعر بالراحة. لقد مضى اكثر من ساعة على ترك جيمس لها عند باب المنزل. ليقفل أدراجه عائدا الى المقهى. وقد أمضت سارة ذلك الوقت متمشية في ارض غرفتها. شاعرة بالقلق لما عساه قد حدث. لو أنه فقط سمح لها بالعودة معه عندما وضع خطته... ولكنه لم يردها بالطبع. لقد أخبرها بجلاء عن عدم حاجته إليها بعد الآن. مازالت تشعر بالألم وهي تتذكر لهجته الباردة الحاسمة وهو يقول ذلك. لماذا تشعر هي فجأة، بأهمية ما قاله عنها؟ ولم تشأ ان تتمعن في معنى شعورها هذا.

ضغطت على الزجاج البارد متفحصة الشارع كما سبق وفعلت مئات المرات. وما لبثت ان تمتمت بارتياح عندما لاح لها فجأة ضيق رجل معروف منها. واستدارت راكضة نحو الباب. لتسرع في الممر الطويل ثم تقف عند أعلى الدرج. وبان على وجهها الحيرة وهي تراه يصعد الدرج وبان على وجهها الحيرة وهي تراه يصعد نحوها. بدت حركاته غريبة. إن جسده الذي تعرفه ليبا مرنا. كان متشنجا. ولكنها لم تر سبب ذلك إلا بعد ان وصل الى أعلى الدرج ووقف تحت المصباح.

قالت بلهفة:«جيمس! ماذا حدث؟ لماذا هذا الجرح في جبهتك؟» تقدمت نحوه بشكل عفوي ورفعت يدها الى

رضة داكنة في صدغه الأيسر، ولكنه دفعها بيده، وهو يتجاوزها دون ان ينبس بكلمة. ووقفت تراقبه يبتعد، وقد ساورها الالم الذي ما لبث ان استحال الى تصميم. ربما لم يردها ان تعلم ما الذي حدث، وربما سيرفض اخبارها عن ذلك. ولكن هذا لا يعني انها يجب ان تحاول معرفة ذلك. ولن تسمح له بأن يمر بها بهذا الشكل دون كلمة تقال. اسرعت خلفه لتمسك بالباب وهو يهم باغلاقه، ثم تبعته الى داخل غرفته، وألقى بمعطفه على السرير ثم استدار ينظر إليها. كان وجهه يبدو عدائيا وهو يقول: «لا أذكر انني دعوتك الى الدخول. فإذا كان لديك ما تقولينه فهيا افصحي، إذ ليس عندي مزاج لمواجهة أي هستيريا الآن.»

قالت: «ليس ثمة شيء من هذا. انني اريد ان اعرف فقط ماذا جرى.» وأشارت بيدها الى وجهه حيث كان الدم ما يزال يسيل على وجنته. وتابعت: «ولا تجرب ان تقول لي انك اصطدمت بجدار، يا جيمس، إذ ان من الواضح انك دخلت في شجار.»

لوى شفتيه ساخرا وهو يفك ازرار قميصه. وقال: «يبدو عليك فجأة انك ذكية جدا، يا انسة مارشال. كم من ضحايا الشجار سبق ورأيت لكي تصبحي بمثل هذه الخبرة؟»

قالت: «لست في حاجة الى ان أكون خبيرة لكي أميز أثر الضربة. أهذا هو ما فعلت؟ عدت الى المقهى لكي تبدأ الشجار؟ كيف أمكنك ان تكون بهذا الغباء؟ ماذا رجوت من وراء هذا العمل؟»

كان في هذه الاثناء قد أتم خلع قميصه الممزق ورماه جانبا. وهو يقول: «إنني لم ابدأ بأي شيء. ولمعلوماتك الخاصة، كل ما فعلته هو انني اخرجت الصورة ثم أريتها لبعض الرجال. وعلى كل حال، لقد اعترض واحد او اثنان على اسئلتي وابتدأوا الشجار... ولكنني انهيت ذلك تماما.»

قالت: «وما هو المفروض ان يسمى هذا؟ عمل جيدا اخشى انك قصدت الشخص الخطأ في سبيل تحقيق عمل باهر يرضي كبريا، رجولتك يا جيمس مال ليستر. كان عملك احمق غير مسؤول إذ تعود الى هناك بهذا الشكل. وماذا استفدت؟» وهزت رأسها تبعد عن ذهنها صورة جعلتها تشعر بالغثيان، صورة جيمس وقد أصابه شر. وتابعت: «لاشيء... لاشيء مطلقا.»

ابتسم بتعب ومشى نحوها ببطء، قائلا: «من قال انني لم استفد شيئا؟ انني لم أقل هذا. والآن، إذا شئت ان تجعلي من نفسك مفيدة ولو مرة واحدة، حاولي ان تفعلي شيئا لهذا الجرح. انني متأكد ان الاسعافات الأولية هي جزء من دراستك كممرضة. دعينا نرى مقدار نجاحك في عملك.»

مر بقربها ولأول مرة تنتبه الى صدره العاري. وتملكها الحرج. لقد كانت مسترسلة في غضبها فلم تلاحظه وهو يخلع قميصه الممزق. وضاقت الغرفة حولها. لم تستطع البقاء معه وهو بهذا الشكل، ولم تحتمل الاقتراب منه الى هذا الحد. ابتعدت عنه وقد اتسعت عيناها ذعرا. وهي تسمعه يتأوه بنفاد صبر، ويقول بخشونة: «لا

تزعجي نفسك... إنني اكره ان أجرح إحساسك مرة أخرى. لماذا لا تصنعين جميلا لنا نحن الاثنين، يا سارة وتتركينني؟ ربما عند ذاك، يمكنني ان اصنع شيئا لهذا الجرح ثم أنام قليلا.»

فتح الصنبور فوق الحوض، ثم أخذ المنشفة فبللها ثم اخذ يربت على الجرح برفق. وقفت سارة تراقبه بصمت وقد دارت في اعماقها معركة مؤلمة. جزء من عقلها طلب منها مغادرة الغرفة حالا. بينما طلب الجزء الآخر منها البقاء، وتقديم يد العون له. فماذا عليها ان تختار؟ والى متى ستتسمح لما حدث لها في الماضي، بأن يقود حركاتها؟ اخذت نفسا عميقا، وسارت إليه بصمت. اخذت المنشفة من يده وبللتها في الماء البارد، آملة ان لا يعود الى تعليقه الساخر. ولكنه لم يقل شيئا وهو يبتعد ليجلس على كرسي الى جانب سريره الضيق. وشعرت به يراقبها بينما كانت الحرارة تسري في أوصالها. ولكنها تابعت عملها بغسل المنشفة حتى نظفت تماما، ثم سارت إليه تضغط على الجرح برفق وثبات، وهي تحاول ان تمنع يديها من الارتجاف وقمع احساسها العصبي الناتج عن الشعور بقربه.

قال بصوت بدا خشنا لسامعها «كيف يبدو الجرح؟»

اجفلت دون وعي منها، وأطلق هو شتيمة وهو يمسك بمعصمها النحيل، قائلا «لماذا تفعلين ذلك؟ انني لن اؤذيك... يجب ان تعلمي هذا. فلماذا تقفزين هكذا كحيوان؟» وأبعد يدها عن وجهه مائلا برأسه لكي لينظر

في عينيها مباشرة وهو يتابع قوله «ما أمرك، يا سارة؟ لماذا تخافين الاقتراب مني؟ هل هذا بالنسبة إليّ فقط أم بالنسبة الى الرجال عامة؟»

لقد اقترب من معرفة الحقيقة بحيث ابعدت يدها عنه وقد خشيت ان يفهم كل شيء. ولن يكون في إمكانها احتمال ذلك. لن يكون في إمكانها الوقوف لرؤية الادراك في عينيه عندما يكتشف سرها. وقالت «لا تكن سخيفا. انني لا اخاف منك او من أي امرئ آخر. انك افزعتني فقط وهذا كل شيء. والآن، هل ستدعني أنهي معالجة ذلك الجرح، أم اننا سنضيع بقية الليلة في الحديث عن شؤوني الخاصة؟» ابتسمت بمرارة وهي تتابع «لقد سبق واستعملت انت هذه الجملة. إذا لم أكن مخطئة، أليس كذلك؟»

استند جيمس الى الخلف وهو يحدق بها بهدوء، ثم قال «كان ذلك حقا، وكنت انا على صواب. ذلك ان لديك نفورا عميقا من ان يلمسك أحد. وليس المهم هو عدد المرات التي قلت لي فيها إنني افزعتك أو ما إذا كنت صدقتك أم لا.» قالت «حسنا، انها مشكلتك انت. ولا استطيع التدخل في ما تفكر فيه.» وانحنت الى الأمام تعيد تنظيف الجرح لكي تخرج من الغرفة بأسرع ما تستطيع. وجعلتها السرعة تفقد توازنها تدريجيا. ورفعت يدها بشكل عفوي لتتمالك نفسها. فتلاقت عيناها بعينيه عندما لامست اصابعها بخفة جلده الدافئ، وشعرت بضربات قلبه. وتجمدت يداها. رفع يده بضعها على يدها ضاغطا عليها بخفة ثم عاد

ينظر في عينيها المتسعتين بذعر. وهو يقول: «ما هو شعورك يا سارة عندما تلمسين شخصا آخر هكذا؟ هل هذا يخيفك؟ هل يجعلك تهربين لتخفي نفسك مرة أخرى؟ أم أنه يجعلك تودين اكتشافنا أبعد من ذلك؟»
وأبعد يدها عنه بخفة ليعود فيمرر بها على صدره وهو ينظر في عينيها.
توقفت انفاسها وقد طغت عليها المشاعر بشكل لم تعرفه من قبل. قال لها «أرأيت يا سارة؟ انني مجرد لحم ودم مثلك تماما.»
هزت رأسها لتتساقط خصلات شعرها المعقود الى الخلف. على وجنتيها المتوهجتين وهي تقول: «كلا.. ليس مثلي.. هذا شيء مختلف.» كان صوتها تمتمة خفيضة خشنة.
ابتسم جيمس بتفهم واضح. وقال: «انهما نفس الشيء إنما بشكل مختلف. انه الفرق بين الرجل والمرأة ضمنا. ومن المؤسف انك لم تحاولي اكتشاف ذلك من قبل. أليس كذلك يا سارة؟ ربما إذا كان هذا قد حدث، لما كنا هنا هذه الليلة ولما كانت كاترين في مكان لا يعلمه أحد.»
زال هذا الاتهام الخشن سحر هذه التصورات بسرعة. حدقت سارة إليه بذعر، ثم انتزعت يدها بعيدا عنه وتراجعت الى الخلف وهي تشعر بالغثيان. كل ما قاله كان مجرد حيلة قاسية متعمدة ليجعلها تدفع ثمن ما يعتقده هو، من أنها ملأت ذهن كاترين بحكايات شاعرية عن العواطف. كم كانت غبية حمقاء لتتركه يوقع بها بهذا الشكل.

واجهته بوجه شاحب، ولكنها تمالكت نفسها رافضة ان تمنحه سرور معرفة الى أي مدى ألمها. وقالت: «يبدو انك ما زلت تعتقد ان الذنب كان ذنبي. لماذا؟ لأنت لا تستطيع تقبل حقيقة أنه إذا كان ذلك ذنب أحد، فهو ذنبك انت. لا بأس، بصراحة. لم أعد اهتم مطلقا بما يمكن ان تعتقده. اريد فقط ان أوضح لك امرا واحدا وهو، إذا حدث ولمستني مرة أخرى، فسأجعلك تندم على ذلك.»
وقف يشرف عليها بقامته الفارعة في الفسحة الضيقة قرب السرير. لتعود إليها أحاسيس أخذت تطردها من ذهنها بشدة.
قال: «وأنا ايضا اريد ان أوضح لك امرا يا سارة. وهو انني لن أغير ابدا.. رأيي في حقيقة الشخص الذي تسبب في هرب ابنتي.»
سار الى الباب يفتحه وهو ينظر إليها بعينين تقدحان شررا وهو يتابع قوله: «إذا حدث شيء لابنتي فستأسفين لكونك جئت الى هذه الحياة.»
توجهت سارة الى الباب والالم يتملكها لهذا الجدل العقيم. وهي تقول: «ارجو ان لا يكون قد حدث شيء لكاترين. ليس لأجلي أنا، او لأجلك انت، بل لأنها فتاة جميلة. وبصراحة، يا جيمس، انك لا تستحق ابنة مثلها. وذلك على الطريقة التي تصرفت فيها نحوها خلال الاشهر الأخيرة.»
عندما ارادت ان تخرج، قبض على ذراعها، ضاغطا عليها بشدة جعلتها تتوقع ان تجد اثرا لذلك على ذراعها

www.rewity.com AMAYAHEENA

في الصباح. وقال «لا تجعليني اسيء التصرف نحوك ايتها السيدة. فقد عانيت ما فيه الكفاية هذه الليلة، حتى كدت أصبح على الحافة.»

قالت «حافة ماذا؟ زيادة في العنف؟ لم يبد ان هذا قد اتى بأي فائدة حتى الآن.»

منعها من الخروج، الاستخفاف الواضح به الى عدم اعطائه الفرصة ليظن بأنه انتصر عليها. ابتسم فجأة وهو يترك ذراعها. قائلا: «ومن تكر شيئا عن العنف: ان في استطاعتي التفكير في طريقة أكثر جدوى لجعلك تسلكين الطريق المستقيم يا سارة.»

انحدرت انظاره الى جسدها، يتفرس في تفاصيله بوقاحة قبل ان يعاود النظر الى وجهها وهو يتابع: «وبالنسبة الى كون العنف لا يفيد شيئا فانت مخطئة برأيك ذاك.» ورفع اصبعه الى الرضة في صدغه وتابع: «وهذا ثمن بسيط لما اكتشفته.»

قالت تسأله: «ما الذي تتحدث عنه؟ هل أخبرك احد انه رأى كاترين في المقهى؟» وابتعدت سارة بافكارها عن التهديد الذي بدا في عينيه الباردتين متمسكة بالموضوع الذي جاء على ذكره لتستطيع تمالك نفسها. كل ما في الأمر انه يحاول اخافتها... انه لم يقصد في الواقع، أن... وابتعد ذهنها عن ذلك الخاطر، لأنها لم تستطع التفاعل معه.

قال: «لقد فعلوا ذلك. لم استطع معرفة التفاصيل، جزئيا بسبب اللغة. ثم لأننا قوطعنا بغلظة. ولكن رجلا قال انه يتذكر رؤيته لكاترين. وما أريد ان اعرفه الآن هو،

متى وأين كان ذلك؟ كذلك اريد ان اعرف سبب احجام صاحب المقهى وعدد من معاونيه عن التحدث بذلك.»

بدت في عينيه نظرة كئيبة توضح ما يساوره من ألم جعل سارة تفكر يائسة في ما يمكن ان تفعله للتخفيف عنه على الرغم من اختلافهما. ذلك انه ما دامت كاترين مفقودة، فإن جيمس لن يرضى بأن يسمع منها أي شيء قد يريحه.

فجأة، تمالك نفسه ليعود فيتطلع في وجهها وقد كست الصرامة ملامحه وهو يقول: «وهنا يأتي دورك. اننا سنعود في الصباح الى ذلك المقهى، ولن نتركه قبل ان أحصل على بعض الأجوبة. وأرى ان تذهبي الآن الى فراشك لتنامي. إذ انك ستكونين في حاجة الى قواك غدا، إذ لم أكن مخطئا. ثمة شخص هنا يعلم شيئا، وأنا اريد ان اعرف نوع هذا الشيء ولو اضطرني ذلك الى ان أقلب هذه المدينة رأسا على عقب.»

اغلق الباب. ومشت سارة الى غرفتها متباطئة ومن ثم ابتدأت تستعد للذهاب الى السرير ولكن النوم بدا مستحيلا. فعدا عن قلقها عما يمكن ان يكون قد جرى لكاترين، كان هناك أمر آخر يتعلق بما يجري الآن بينها وبين جيمس. ففي كل مرة كانت تغمض عينيها فيها، كانت التصورات تحتشد في رأسها.

تأوهت بضعف وهي تستدير لتدس وجهها الحار في برودة الوسادة. وتمنت لو تعود بها الأيام كما كانت، قبل ان يحدث لها ما حدث، انها لا تريد لهذه الافكار

المزعجة عن جيمس ان تستمر في تعذيبها. لقد صممت منذ سنين، على الطريقة التي يجب ان تمضي بها بقية حياتها. وهي لا تريد ان تغير ذلك الآن، خصوصا بسبب رجل عصبي يجعلها على الدوام ثائرة الاعصاب... مما جعلها شبه مجنونة.

* * *

ملأت رائحة القهوة جو غرفة الطعام وأومأت سارة الى المرأة التي تدير النزل، تحييها، ثم توجهت لتجلس الى احدى المنائد الصغيرة القائمة اللون المقامة بجانب النافذة. كان ثمة عدد قليل من الاشخاص في تلك الغرفة، زوجان جالسان الى الطاولة بجانبها، ثم رجل كبير السن قد أنهى تناول الإفطار واستعد للخروج.

اومأت سارة لهما تحية، ثم طلبت لنفسها فطورا بهدوء وهي تتطلع من النافذة الى الحديقة اثناء انتظارها، وانتبهت الى صوت وقع خطوات ثقيلة على خشب الغرفة اللامع. تنفست بعمق وهي ترى جيمس في طريقه نحوها. مرتديا سروالا رصاصي اللون، وقميصا رماديا فاتح اللون وقد ثنى كمّيه الى المرفقين. وقد بدت عليه الحيوية والانتعاش. وكسته الرضة في صدغه هالة من الغلظة. ولأنها كانت قد امضت بضع دقائق أمام المرآة تتطلع الى صورتها الشاحبة باشمئزاز، وذلك قبل ان تنزل من غرفتها الى غرفة الطعام، فقد كان طبيعيا ان تشعر بالانزعاج وهي تلاحظ ان جيمس لم يمض ليلته أرقا كما حدث معها هي.

كان ذلك هو السبب الأول الذي تسبب بالحدة في صوتها وهي ترد عليه التحية. ومهما كان، فقد تسارعت دقات قلبها عندما جلس الى المائدة، مادا ساقيه الطويلتين لتلامسا ساقيها في تلك المساحة الضيقة. ثم انها كانت قد أمضت الليلة في صراع مع كل هذه الافكار. ولكن الآن هو الصباح، وهي مصممة تماما على طرد كل هذه الأمور من ذهنها.

تأملها بصمت، وقد استقرت عيناه السوداوان على الظل عند اسفل عينيها، وشحوب وجهها. وقال: «إنك تبدين مرهقة. لقد طلبت منك ان تلتمسي شيئا من النوم. ما الذي كنت تفعلينه طوال الليل؟»

تضرج وجه سارة وهي تبادله النظر عبر المائدة وقالت: «شكرا. ولكني لا أذكر أنني سألت رأيك في مظهري، يا سيد جيمس. ولهذا اكون شاكرة لو احتفظت برأيك هذا لنفسك.»

قال: «همم... إنك بالغة الحساسية هذا الصباح أليس كذلك؟ وماذا بشأن السيد جيمس هذا. انني أذكر اننا قد تقدمنا خطوة او اثنتين بالنسبة لعلاقتنا، الليلة الماضية، يا سارة.»

كانت غرفة الطعام هادئة الى درجة جعلت صوته مسموعا جدا للزوجين الجالسين قريبا منهما.

شعرت سارة بهما يحدقان فيها. وازداد احمرار وجهها وهي تهمس منحنية الى الأمام: «من فضلك.. ماذا سيظن الناس بنا؟»

قابل نظراتها بهدوء وهو يرفع حاجبيه متسائلا: «ليس لدي فكرة عما تقصدين بسؤالك هذا يا سارة؟»

قالت: «لا تكذب. انك تعرف جيدا ان كلامك يفسّر بأننا... بأننا...» كيف حدث ان وضعت نفسها في هذا الموقف الحرج؟

ضحك بعمق وبصوت عال صدم اعصابها المرهفة. ومد يده يمسك بيدها وقد بدت السخرية في عينيه ليرفع أصابعها الى شفتيه ويتظاهر بتقبيلها. ثم قال يكمل كلامها: «بأننا امضينا الليلة معا في سرير واحد؟ هل هذا ما جعلك تخجلين من قوله؟ اننا في فرنسا يا سارة. والفرنسيون يفهمون هذه الاشياء اكثر مما نفهمها نحن الانكليز. فلا يتملك الحرج يا حلوتي.»

قالت: «انني... انني...»

اشاحت بوجهها عنه متجنبة نظراته الساخرة. لتتلاقى نظراتها بنظرات المرأة الجالسة قريبا منها. التي ابتسمت لها ابتسامة ذات معنى. وقد بان عليها الاستمتاع بما بدا لها وكأنه مناوشة بين حبيبين. مما دفع سارة الى التصرف بحدة. فنزعت يدها من يده وهي تنظر اليه بعينين تقدحان شررا وهي تقول: «سأجعلك يوما ما، تدفع ثمن كل هذا، يا جيمس أليستر.»

قال: «قد يكون هذا موضوعا هاما للمناقشة ولكن في ظروف مختلفة. اما الآن فإنني اكثر اهتماما بسبب وجودنا هنا... أعني كاترين.»

ساد الصمت مرة واحدة لتتلاشى السخرية في عينيه.

تلك السخرية التي أثارت توترها منذ لحظة واحدة. وعادت سارة تستقيم في جلستها وقد صعقها صمته المفاجئ. «ما الذي يدفعه دوما الى هذا التصرف. فيقطع مناقشاتهما فجأة تاركا إياها حائرة تترنح؟

اخذت ترشف قهوتها السوداء. وقد تملكتها الحيرة لتصرفاته الغريبة. ورفعت الكعكة الى فمها دون ان تجد لها مذاقا. وشرب جيمس قهوته ثم نهض وهو يسألها: «هل انت مستعدة؟ ليس عندنا وقت لنضيعه أكثر من ذلك.»

لاحظت بعض التوتر في حركات جسمه المرن بعث في اوصالها نوعا من التحذير. ووضعت هي بقية الكعكة في الصحن ثم مسحت اصابعها بالمنشفة وهي تقول: «اننا لن نستفيد شيئا إذا انت خرجت بهذا الشكل. ان كل ما ستفعله هو إثارة المتاعب مرة اخرى.»

اجاب بسخط وهو يقف بنفاد صبر ينتظرها: «إنني لم ابدأ بإثارة المتاعب الليلة الماضية. بل هم الذين فعلوا ذلك.»

تنهدت وهي ترفع شعرها الى الخلف. قائلة: «ربما هناك سبب وجيه لما حدث.»

قال: «أوه. نعم؟ لماذا يرفض انسان، في هذه المدينة. الاجابة عن بضعة اسئلة إذا لم يكن ثمة ما يريد إخفاءه؟»

توقفت سارة خارج الباب. واستدارت تنظر اليه. وبدا لها وجهه عابسا غريبا وعيناه غير معبرتين. انها لم

تعرف سوى القليل عن جيمس. وهذه هي المشكلة فهي لا تعرف كيف تتعامل معه. كيف تقنعه بأن يكون حذرا في تصرفاته. إذا كانا يريدان ان يعرفا شيئا عن مكان كاترين.

قال «لماذا كذب علينا رجل المقهى؟ ولماذا حاول زملاؤه ان يمنعوني من التنادي في الاسئلة؟» ارتسمت على فمه ابتسامة باردة وتابع قائلا: «وما معنى المثل الذي يقول: ليس لدى البريء ما يخفيه؟ يمكنك ان تقولي ما تشائين وتخبريني ان اتصرف بهدوء. ولكن لا تنسي انها ابنتي تلك التي نتحدث عنها. يا سارة عارشال. فلو كان علي ان اتابع سؤال كل شخص في هذا المكان لفعلت دون تردد.»

قالت: «إذا انت ابتدأت بمثل هذا الكلام، فلن نصل الى شيء. اسمع يا جيمس، ان هذه المدينة صغيرة بعيدة نوعا ما عن الطريق الدولي، فليس من المستغرب ان يتشكك أهلها لدى طرح مثل هذه الاسئلة. ولا بد أنك خبرت مثل هذا الوضع من قبل في أمكنة أخرى.»

قال: «لقد حدث هذا طبعا ولا اريد محاضرة منك عن طبائع الناس يا سارة. فأنا لست أحد تلامذتك. لقد عملت فترة في قرية صغيرة في جنوب اميركا تبدو أمامها هذه البلدة مدينة كبيرة. مما جعلني ألاحظ عند أكثر الناس في هذه الأماكن، احجاما عن الإجابة عن اسئلة الغرباء. ولكن الأمر كان مختلفا الليلة الماضية.» بان الوجوم في عينيه وقد كسا الغضب ملامحه بالشكل

الذي ظهر عليه عند عودته الليلة الماضية الى النزل، مزيجا بخوف حقيقي. وتابع قائلا: «انهم يعلمون شيئا عن كاترين، وقد افزعني تصور ما عسى ان يكون هذا الشيء.» وعاد ينظر إليها فجأة بعينين باردتين، ليتابع قوله: «والآن، إذا كنت انتهيت من اخباري عما يجب ان أقول وأفعل، فيمكننا ان نخرج قاصدين المقهى. وكلما اسرعنا باكتشاف الحقيقة كان ذلك افضل. وبالنسبة الى وضعي، سأترك أمر الكلام إليك يا سارة، لتتصرفي كما تريدين مناسبا. لقد حان الوقت لكي تقومي ببعض التكفير عما صنعت.»

سار مبتعدا تاركا إياها تحدق في أثره، وهي لا تدري ما إذا كان عليها ان تخبره بأن يذهب ويتركها وشأنها، أم ماذا؟ ولكن الرقة ما لبثت ان غلبت عليها وهي ترى إمارات القلق على وجهه. ولكن، قد يكون هذا خطأ منها. ذلك ان جيمس رجل قوي صلب وقادر على العناية بنفسه أكثر بكثير منها هي في نفس ظروفه. ومن الآن فصاعدا ستفعل كل ما يطلبه منها لا أكثر ولا أقل. وستحاول ان تبقي علاقتهما على مستوى واحد. فهذا افضل من ان تسمح لمشاعرها بأن تطفو الى السطح. ويجب ان تكون الليلة الماضية درسا كافيا لها. هذا إذا هي أرادت ان تنسى.

www.rewity.com ARAYAHEENA

الفصل السادس

كان المقهى خاويا. سارت سارة عبر الغرفة الى نفس الطاولة التي جلسا إليها الليلة الماضية. وهي تسمع صدى وقع خطواتها على الارضية الخشبية. جذب جيمس كرسيا جلس عليه في مواجهتها، وهو ينقر بأصابعه نافد الصبر، على الطاولة، جاعلا بانظاره في أنحاء المقهى الخاوي. ولم يكن المكان في ضوء النهار بأفضل مما بدا ليلة أمس. فقد كان دهان الجدران المتساقط وبقع الدخان على الجدران خير شاهد على ذلك. وشعرت سارة بثورة تجتاح نفسها وهي تفكر في ما عسى كانت كاترين تفعل في مثل هذا المكان.

قال جيمس بخشونة: «أين اصحاب المكان؟» ولاح في نبرات صوته قلة الصبر الكافي لأن يقوما بطرح اسئلة بطريقة مهذبة. نظرت سارة إليه قائلة: «لا بد ان يأتي احد الى هنا حالا. فهذه ليست لندن حتى ولا باريس. فهم لا يأتون راكضين لدى أول لمحة لزبون. فنمط الحياة هنا يسوده الاسترخاء التام.»

رفع حاجبه ساخرا على عادته التي اصبحت سارة تدركها جيدا. وقال: «هذا درس آخر، يا آنسة مارشال. ثم ان فقط لتقنعني بأنك تعرفين عن البلاد شيئا مختلف عما تقرأينه في الكتب.»

قالت: «ان التهكم هو غالبا، غير مستحسن، يا سيد

جيمس. وبالنسبة الى ان معرفتي بالبلاد وبالناس هنا، هي آتية من الكتب... حسنا...» هزت كتفيها بعدم اهتمام متابعة: «ربما يدهشك ان تعلم انني عدا عن مكوثي هنا سنة دراسية في الجامعة فقد كنت أمضي عطلاتي اجول في البلاد في جميع انحاء فرنسا، ولا أريد ان تعتبره غرورا مني إذ اقول انني أعلم الكثير عن هذه البلاد وسكانها.»

قال: «ان ما يدهشني، آوه، لا أعني انك تعرفين الكثير، وإنما لأنك كنت بوما ما مغامرة بهذا الشكل. من الصعب ان يتصورك المرء طالبة صغيرة لا مبالية تحملين حقيبتك على ظهرك تطوفين بلادا غريبة. ما الذي جعلك تتغيرين الى هذا الحد، يا سارة؟ أهو النظام الذي شئت تطبيقه؟ أم ان هناك عاملا مؤثرا جعلك تصممين على اتخاذ هذه الطريقة الصارمة لحياتك.»

تضرج وجهها وهي تقول: «ليس لكي فكرة عما تتحدث.» وانتشر اللون في وجهها وعنقها وبدت أصغر سنا عما هي.

اخذت عينا جيمس تتفرسانها. ثم قال: «انني اتكلم عن طريقة حياتك التي انحصرت في حياتك المدرسية ونظامها.»

اطلقت ضحكة قصيرة عالية وهي تقول: «انك لا تعلم شيئا عن نظام حياتي.» كانت ضحكة زائفة سرعان ما انتهت بصمت ثقيل ساد الجو حولهما.

قال: «انني اعرف أكثر مما تتصورين. لقد كانت رسائل

كاترين الأخيرة ملينة بأخبارك وحدها تقريباً. أم من الافضل ان أقول بقلة أخبارك؟»

استقر في جلسته مائلا بكرسيه الى الخلف وهو يرفع ساقيه على حاجز المائدة الأسفل. وبرغم أنه لم يكن بدينا، فقد كان رجلا كبير الجسم ممتلىء العضلات كما أدركت الليلة الماضية عندما لمسته صدفة. وعادت إليها ذكريات الليلة الماضية ممزوجة بأحداث هذا الصباح حتى أنها لم تستطع، للحظة ان تفصل بينهما.

اغمضت عينيها وهي تطرد هذه الصور من ذهنها والتي لم تستطع التفاعل معها في ضوء النهار. وجيمس جالس أمامها يراقبها بعينيه النفاذتين. قالت بخشونة: «إنني لا أنوي الجلوس هنا لمناقشة حياتي الخاصة معك.»

قال: «وأي شيء هناك يستدعي المناقشة؟ انك تعلمين في المدرسة... وهذا هو كل شيء. انما يبدو لي ان حياتك الوحيدة هي الموجودة في داخل رأسك.»

بدد الازدراء في صوته القاسي الصور في مخيلتها ليحولها الى هشيم. هزت رأسها بثورة مفاجئة لتقول: «تبا لك يا جيمس. انك ما زلت على اتهاماتك هذه... ولكن، لماذا؟ ما الذي اخطأت فيه بحقك؟»

قال: «انك عرضت ابنتي للخطر بتصوراتك الحمقاء. هذا هو السبب.» وانحنى بكرسيه الى الامام متابعا: «لولا حماقتك إذ وضعت هذه الافكار في ذهن كاترين، لما كان قد حدث ما حدث.»

قالت: «لقد اخبرتك أنني لم أفعل ذلك. إنني لم أضع

أي فكرة في رأسها. ما الذي يمكن ان يقنعك بذلك؟»

قال: «لا شيء. ليس ثمة طريقة تجعلني أغير من اعتقادي... ليس ثمة طريقة...» سكت وقد تجلى التوتر في ملامحه وهو يتطلع الى صاحب المقهى الذي ظهر فجأة.

أراد جيمس ان يدفع كرسيه الى الخلف ليقف بتوتر لولا ان سارة وضعت يدها على ذراعه تهدئه. وهي تبتسم بحرارة قائلة: «كلا... دع هذا لي. ربما انا مؤهلة أكثر منك للتعامل في وضع كهذا.»

سارت بهدوء نحو صاحب المقهى. ووقفت تنتظر بصبر الى ان اضطر الرجل الى ان يرفع رأسه ناظرا إليها. ثم تحدثت إليه بفرنسية شعبية لا يمكنه معها الادعاء بعدم الفهم. وكانت أجوبة الرجل في البداية، مقتضبة. ثم ما لبث ان انفجر في سيل من الحديث الهائج.

«ما الذي يقوله؟ هل قال إنه رأى كاترين؟» كان الغضب يتفجر في صوت جيمس برغم حاجز اللغة. ليتوقف الرجل عن الكلام فجأة وهو ينقل أنظاره بينهما وقد لمعت عيناه. ثم فجأة، أدار رأسه ينادي شخصا ما.

شعرت سارة بقلبها يغوص بين ضلوعها عندما برز شاب من الغرفة الخلفية. وأدركت سارة من الرضوض التي في وجهه، وتحديقه في جيمس، انه لا بد ان يكون الرجل الذي تشاجر معه ليلة أمس. أخذ الرجلان يتحدثان معا، ويظهر أنهما كانا يتجادلان مع أنه كان من المستحيل عليها ان تفهم ماذا كانا يقولان. ثم فجأة،

بدا ان صاحب المقهى قد وصل الى قرار متجاهلا احتجاج زميله. فالتفت إليهما لتتنفس سارة بارتياح. وقد أحست بمقدار القلق الذي كانت تشعر به.

عندما توقف الرجل عن الكلام. أمسك جيمس بكتفي سارة يديرها إليه بلهفة وهو يسألها: «ما الذي قال يا سارة؟ ماذا قال؟». ولكن سارة انتزعت نفسها من بين يديه ثم اتجهت راسا نحو الباب.

قال: «إذا انت لم تخبريني عما حدث هناك حالا. فاننى أقسم بانني لن أكون مسؤولا عن تصرفاتي!»

برصانتها التي كانت تفخر بها. تجاهلته سارة وهي تسير مسافة قليلة في الشارع. ثم تنتهالك جالسة على حائط من الحجر وهي تسأله برقة: «هل انت دوما محارب بهذا الشكل؟ أم أنني يجب ان أفخر بنوع من التأثير علي؟».

رفعت يدها حين رأته يتقدم نحوها والتهديد باد على وجهه. وهي تقول: «لا بأس. لا بأس. فلنتجنب الجوء الى العنف مرة اخرى. ربما لو كنت ضبطت اعصابك الليلة الماضية لاكتشفت ان كاترين بخير تماما».

«هل هي بخير؟»

وجعل مظهر الارتياح الذي كسا ملامحه تشعر بالندم لانكوها بابلاغه هذا الخبر الطيب ولو للحظة واحدة. ولا يهم مبلغ اخطائه نحوها على الاخص. ولكنه كان شديد الاهتمام بابنته. رق صوتها دون وعي منها وابتسمت له بحرارة وهي تقول: «نعم. لقد كنت انت على حق. لقد

كانت كاترين هنا أمس مع فيليب. لقد كان ذلك الرجل واثقا من ذلك».

قال: «ولكن لماذا لم يقل ذلك من قبل؟ لماذا كل هذا الغموض؟». والقى نظرة متوحشة من فوق كتفه نحو المقهى. وتابع: «لم أفهم المعنى من ان يجعل من كل هذا سرا».

قالت: «انها مسالة ولاء. ذلك ان ابنه هو صديق لفيليب. وهو الذي كان في المقهى الآن. وكذلك كان واحدا من الرجال الذين قابلتهم الليلة الماضية. لقد أقنع والده بأن لا يتفوه بكلمة عن وجودهما هنا». هزت كتفيها وهي تدير وجهها نحو أشعة الشمس الدافئة. لقد كانت شديدة القلق على كاترين بعد الذي اكتشفه جيمس. ولكنهما يعلمان الآن انها بخير. حتى ولو لم يعلما مكانها تماما.

قال: «هذا لا يوضح كل شيء. لماذا وصلا الى هذا الحد لكي يمنعاني من ان اكتشف شيئا الليلة الماضية ليعودا فيقبلا بذلك هذا الصباح؟»

اقترب منها يشرف بقامته عليها مانعا بذلك اشعة الشمس من ان تصل إليها. ولما كانت اشعتها خلفه ووجهه في الظل. فقد صعب عليها ان ترى ما تعكسه ملامحه. ولكن سارة ظلت تنتبه وهي تدرك من نبرات صوته مبلغ ارتياحه. ولم تظهر عليه السعادة إلا بعد ان رددت الحديث الذي دار بينها وبينهما كلمة كلمة.

هل كانت هذه هي الطريقة التي يسير بها أعماله؟ أن

ينبش عن الحقائق دون ان يثق بحكم إنسان مغاير لحكمه هو؟ ربما. وعلى الرغم من حقيقة أنه كان متزوجا وأنجب طفلة، فان جيمس مان أليستر صاحب شخصية مستقلة قوية من الصعب هدمها. هل من الممكن ان تروضه علاقة مع امرأة؟ هل تراه يسمح لها بأن تجتاز هذه الحدود التي يبدو أنه أحاط نفسه بها، منغلقا على نفسه بنفس القدر الذي كانت هي منغلقة على نفسها فيه. وقد كان إدراكها بأنها تشترك وجيمس بنفس هذه الصفة، بمثابة صدمة لها.

قال ملتمسا منها الجواب بنفاد الصبر: «حسنا؟»

تركت سارة أفكارها هذه جانبا لتعود إليها في ما بعد عندما تخلو الى نفسها في غرفتها. لتقول: «الحقيقة اني أخبرته بأنك والد كاترين، وبأنها ما زالت في الخامسة عشرة من عمرها. ولا أظن ان فكرة استدعاء الشرطة المحلية للتحقيق داخل المقهى عن اختفاء فتاة قاصرة، قد اعجبته سواء بإرادتها أم بغير إرادتها».

قال وهو يمرر يده على وجهه: «لقد فهمت الآن. أظن ان هذا معقول. اظنه كان من الافضل لو تركت الأمر بيدك يا سارة، إذ يبدو انك استطعت انجاز ما لم استطعه أنا».

كان هذا اول كلام سار قاله لها. اول كلام لا يحمل معنيين. وبدا عليها سرور لم تستطع اخفاءه. ولكنها وقفت تقطع عليه كلامه هذا... لم تشأ ان يعتقد انها تتصرف كتلميذة مدرسة حمقاء تلتمس منه كلمات

الإطراء. ولكنها ما لبثت ان ترنحت وقد ارتطمت قدمها بحجر على جانب الطريق.

«حاذري...» وكانت يده القوية قد سبقت لتقبض على وسطها تمنعها من السقوط. كانت يدا قوية، ثابتة ودافئة. لم تكن تعرف شيئا عن الرجال. وقد كانت قوتهم تخيفها دوما. فلماذا يتسارع نبضها الآن إذ يلمسها جيمس؟ ولماذا تراها تطمح فجأة الى شيء لا تفهمه؟

لا بد ان ثمة شيئا بدا من ذلك على ملامحها. إذ شعرت به يتنفس بعمق. ومن ثم شد قبضته على ذراعها ثم، تركها فجأة وهو يقول: «حاذري موقع قدميك. لا نريد حادثا يعطلنا».

كانت لهجته باردة. وتركه لها فجأة، جعلها تستشير مبتعدة عنه، لتخفي ألمها العميق الذي بدا في عينيها، وشعور الحرمان الذي هزها. ذلك ان جيمس لم يظهر اهتماما بها قط كإنسان. ووجودها هنا ومعاناتها. هما فقط لتكفير عما فعلته او ما يعتقد انها فعلت. فلماذا تشعر بالاستياء لرفضه التعمد والاستمرار في ذلك التقارب الحميم بينهما؟

كان صوتها باردا متشنجا، مخفيا استياءها، ظالما تعودت ذلك عبر السنين، وقالت: «يمكنك ان تثق وترتاح الى انني سأكون أكثر حذرا في المستقبل. والآن، ما هي خطوتك التالية؟»

ابتعد عنها وهو يلقي بنظرة الى المقهى خلفه، وهو يقول: «سنتابع طريقنا طبعا. فقد فهمت انه لم يكن

www.rewity.com ARYAHEENA

ثمة ذكر لخطة كاترين.» وعندما هزت رأسها. تابع بسرعة: «حسنا. يمكننا ان نستنتج انهما ما زالا في طريقهما الذي ابتداه. لقد توقفا هنا. كما كانا قد خططا من قبل. وهكذا. إذا نحن سلمنا بهذه الفرضية. أفلن انه من الافضل ان نعود الى النزل ونحزم متاعنا.»

استدار عائدا. وكانت ساقاه تطويان الطريق طيا. ولكن سيارة لم تتحرك لتتبعه.وذلك لمدة عدة دقائق.

في نهاية هذه الرحلة. سيظفر هو بهدفه ويستعيد ابنته سالمة... ولكن. ماذا بالنسبة اليها؟ ما الذي ستجنيه في النهاية؟ هل سيكون في امكانها ان تعود الى حياتها السابقة؟ أم انها ستكتشف ان حياتها قد تغيرت الى حد جعلتها تشعر ان ذلك لم يعد كافيا.

اخذت تراقب. وهي تظلل عينيها بكفيها. تلك القامة الفارعة التي تمشي أمامها. لتشعر بعد ذلك بألم مفاجئ في قلبها. ماذا ستكون عليه حياتها عندما لا يعود جيمس مالك اليستر جزءا منها؟ انه يثيرها بازدرائه لها. وتصريحه الدائم بانها دوما على خطأ وهو على صواب. ورجولته تخيفها. ولكن. عندما يأتي الوقت لينتهي كل هذا. فستصبح حياتها أكثر فراغا وخلا من قبل.

كانت الشمس تميل الى الغروب. ملونة القمم الثلجية لجبال البيرينيه بلون رمادي وردي رقيق. لقد قطعا مسافة خمسمائة ميل من باريس. وبدت لسارة انها مسافة بين الأرض وكوكب آخر. فقد كانت المنطقة مختلفة جدا بالجداول المنحدرة من الجبال. والادوية الخضراء.

وقصور العصور الوسطى المقامة على قمم التلال. انها لم تزر هذه الأماكن من قبل. وقد تلهفت الى ان تتوقف فترة تستمتع بها بهذه المناظر. مستغلة الهدوء. حيث ان مرور السيارات من هنا كان نادرا. ولكن جيمس رفض ان يضيع أي مقدار من الوقت. لقد توقفا مرتين فقط اثناء رحلتهما. الاولى حين اخذا يسألان عن مدينة صغيرة كانت على الخارطة. والمرة الثانية لشراء خبز وجبن لبيكلا. ولكن الإرهاق قد ابتدأ بسبب لسارة ألما جسمانيا شاملا من جراء الجلوس طيلة تلك المدة في مقعدها في السيارة. ولم تشأ ان تلتمس منه التوقف قليلا. فقد كان من البديهي ان يتوقفا عند غروب الشمس وراء قمم الجبال لتترك منطقة الارياف في الظلام. اخيرا سألته: «الى أي مدى تريد ان تستمر في السير هذه الليلة؟ ان الظلام سينتشر قريبا.»

القى عليها نظرة باردة وهو يضيء أنوار السيارة قائلا: «إنني لا أنوي التوقف. فاننا لا نبعد الآن كثيرا عن موضن فيليب. انها مسافة ساعتين او ثلاث فقط.»

قالت: «وكيف يمكنك ان تجد القرية في الظلام؟ وكما يمكنني ان أدرك من الخارطة. انها تقع خارج الطريق الدولي. ومن الخطر قيادة السيارة في هذه المناطق الريفية في الظلام.»

قال: «إنني لا اريد ان أدع ابنتي تمضي ليلة اخرى في صحبة ذلك الفتى. هل هذا واضح؟ إنني سأستمر في السير طيلة الليل لو اقتضى الأمر ذلك. ان هذه

ليست نزهة يا سارة. ونحن لسنا هنا للترفيه عن انفسنا فنحجز غرفة في نزل صغير مريح لنقضي امسية لطيفة. اننا هنا نبحث عن كاترين.»

قالت «امسية لطيفة... وبصحبتك؟ يا للحظ العظيم.»

ارتسمت على وجهه ابتسامة خفيفة وقال «تقصدين انك لم تستمتعي بصحبتنا معا الليلة الماضية؟ انك تدهشينني يا سارة. لقد شعرت بأن صحبتي لك لم تكن سيئة بالنسبة إليك الليلة الماضية.»

ادركت ما يعني. وبطبيعة الحال. لم تجرؤ على النظر إليه لئلا يرى في ملامحها هذا الإدراك. فحولت رأسها تنظر من خلال النافذة راجية ان تبطىء خفقات قلبها المجنونة. سمعته يضحك بهدوء وعمق جعلا جريان الدم يسرع في عروقها.

قال «يجب عليك ان تتعلمي اخفاء مشاعرك بشكل أفضل يا سارة. كم يبلغ عمرك؟ ثمان وثلاثين؟ تسعا وثلاثين؟ حتى الآن لم تتعلمي أول درس في تمثيلية الرجل والمرأة. هل انت حقيقة هكذا الى هذا الحد؟ ام ان الامر كله هو تمثيل لكي تخفي حقيقتك؟»

تصاعد غضبها لاعطائه لها عمرا يفوق عمرها الحقيقي ليتبع ذلك بضغنة اخرى مؤلمة عندما تابع كلامه عن حقيقتها «لو انه فقط يعلم... لو أنه يعلم كم من المرات تمنت لو كان الأمر حقا كما يقول!

تدفقت عليها الذكريات دفعة واحدة لتشهق عاليا من شدة الخوف.

قال «ماذا جرى؟ هل انت بخير؟» وحول عينيه عن الطريق لينظر إليها. ولكنها حولت عينيها عنه كي لا يرى ذلك الالم فيهما.

قال «اجيبي يا امرأة. ألا تستطيعين ذلك؟» كان في صوته الخشن من نفاد الصبر ما ألمها. ألقت إليه نظرة سريعة. لقد كان الأمر كله خطأه بالطبع. لقد دخل حياتها ليهدم الحواجز فتتدفق الآلام عائدة إليها.

أجابت تهاجمه نافثة كل ما تشعر به من احباط مختزن في نفسها «ليس بي من شيء. ماذا جرى لك انت يا جيمس؟ لماذا تظن ان لك الحق في معرفة أمور هي ليست من حقك؟ لماذا لا تهتم بشؤونك الـ...؟» وتوقفت فجأة عن الكلام، ثم صرخت محذرة بصوت عال عندما رأت خيالا قاتما يبدو أنه سيلقي بنفسه أمام السيارة «انتبه!»

بحركة تلقائيه اوقف جيمس المحرك فجأة لتنزلق السيارة ثم تنحرف الى جانب الطريق محدثة قرقعة عالية خطرة. ابتدأ يشتم وهو يوقف المحرك ويترجل من السيارة ليمشي الى الخلف متفحصا الطريق. ليرى السبب الذي دعاها الى الصراخ بهذا الشكل. ولكن. لم يكن ثمة شيء. عاد الى السيارة وفتح الباب ثم انحنى ينظر إليها قائلا «حسنا؟»

قالت «لقد رأيت... رأيت شيئا يركض في الطريق... شيئا يشبه غزالا او نعجة... او أي شيء مماثل.»

أثارت الضريبة التي كان ينظر بها إليها عصبيتها فقاصت في مقعدها.

قال مرددا: «غزالا؟ نعجة؟ أو... أي شيء مماثل».
كان صوته هادئا رقيقا جعل لأول وهلة. شعورا رائعا بالأمان يتملكها. نظرت إليه وقد ارتسمت على شفتيها شبه ابتسامة وقالت مؤكدة: «نعم.. هذا ما بدا لي. لم أكن أريد منك أن تصدمه، ولهذا صرخت أحذرك».
قال: «لقد فهمت. انك فكرت حقا ان غزالا او نعجة تستحق ان تضحي بحياتنا لأجلها. هل انت غبية الى هذا الحد؟ أليس لك عقل يخبرك ان لا تصرخي بهذا الشكل؟».
قالت متلعثمة: «إنني.. كلا. إنني آسفة. ولكن كيف لي ان أعلم انك ستنحرف بالسيارة هكذا؟».
قال: «أكثر الناس يحدث لهم ذلك إذا صرخ معتوه فجأة (انتبه) في آذانهم. والآن، دعينا نتأكد من ان السيارة لم يصبها الضرر، وإلا فإنك ايتها السيدة ستندمين على فتح فمك». صفق الباب ثم انحنى يتفحص العجلات ويمعن النظر في كل بوصة من قاعدة السيارة. ثم وقف ينفض الغبار عن يديه وجلس خلف عجلة القيادة. حبست سارة أنفاسها وما لبثت ان تنهدت بارتياح وهي تسمع المحرك يدور ثم تنطلق السيارة كالعادة. حتى الآن الأمور حسنة.
عاد جيمس بالسيارة قليلاً الى الخلف برفق، قبل ان يتخذ الطريق العام بالسرعة العادية. ولكنهما لم يجتازا اكثر من نصف الميل ليبدأ بإطلاق الشتائم مرة اخرى. انحرف بالسيارة جانبا وقد تجهم وجهه. ثم أخذ يتفحص المحرك.

قالت سارة بصوت متردد فيه الاعتذار وهي تستدير ببطء لترى سبب اهتمامه ذاك: «ماذا حدث؟ هل ثمة شيء قد تعطل؟».
نظر إليها ثم أشار بأصبعه الى نور يتألق على اللوحة وهو يقول بحدة خالية من التهذيب: «ألا ترين؟».
قالت بصوت خافت: «إنني.. إنني لا اعرف القيادة... إنني لا اعرف شيئا عن السيارات».
قال: «ألا تعرفين القيادة؟ كان يجب ان أعلم ذلك». كان في لهجته من الازدراء ما جعل الدموع تتجمع في عينيها. ولكنها اخذت تطرف بعينيها بسرعة كي تتخلص منها. وقالت بحدة لكي تخفي شعورها بالتعاسة: «حسنا. انني آسفة جدا إذا كان ذلك قد ازعجك. ولكنني لم أجد سببا او رغبة لتعلم قيادة السيارات. والآن، إذا لم يكن في سؤالي ما يزعجك هل يمكن ان تشرح لي ماذا جرى؟».
اجاب ببساطة: «اه. طبعا يمكنني ان أشرح لك الامر بكل بساطة. وهو ان السيارة لن تتحرك بنا هذه الليلة وشكرا لك ولغزالك او نعجتك. او أي شيء مماثل...».
أوشكت خشونته تلك واستهزاره في استفزازها ان يجعلاها تحتد هي ايضا. ولكنها تمالكت نفسها لتسأله: «لماذا؟ ماذا جرى لها؟ ألا يمكنك اصلاحها؟».
قال: «كلا. لا استطيع». وأطفأ المحرك ليبهت النور المتألق وهو يتابع: «يبدو اننا اصطدمنا بشيء احدث ثقبا في خزان الزيت. ان ذلك النور كان ينبهنا الى نفاد الزيت ولا يمكننا الذهاب إلى أي مكان قبل إصلاح هذا العطل».

نظرت إليه بذعر قائلة: وماذا ستفعل إذن؟» ولقت نظرة يائسة من النافذة. لقد استطالت الظلال الآن مكونة مساحات قاتمة في تلك المنطقة الريفية. وبعد وقت قصير سيحل الظلام تاركا إياهما هائمين في البرية.

قال وهو يحاول ان يريح عضلات ظهره وكتفيه: يبدو ان أمامنا خيارين.» اصطدمت ذراعه بذراعها وهو يتمطى. لتتراجع هي بدافع غريزي جعله ينظر إليها شزرا.

قالت بصوت بدا فيه الألم والضعف: وما هما هذان الخياران؟» لقد عم الهدوء الآن بعد ان توقفا عن السير. ولم يكن يعكر هذا الهدوء سوى خرير جدول ينساب منحدرا نحو الوادي.

احدث السكون العميق ووحشة البرية نوعا من الإلفة بينهما وهما يجلسان في السيارة جنبا الى جنب. إلفة جعلتها تشعر بالعصبية وعدم الارتياح في نفس الوقت. انهما مرغمان على قضاء الليل هنا. هنا إذا لم تتحرك السيارة... وحدهما معا.

قال: يمكننا ان نسير الى أقرب قرية. او ان نمضي الليل هنا راجين ان يمر من يمكنه اسداء المعونة لنا.»

هل خيل إليها هذا، أم ان صوته كان أعمق من المعتاد وأكثر رقة؟ لقد تسربت نبرات صوته كالمخدر في شرايينها. وهزت سارة رأسها تنفي عن ذهنها هذه التصورات المجنونة. ولكن، كان من المستحيل ان تمحو من صوتها عصبيتها تلك وهي تسأله: «كم تبعد عنا أقرب قرية؟ يبدو ان الأقرب الى المعقول هو ان نجرب

الذهاب إليها مشيا على الاقدام. هذا أفضل من تمضية الليل في السيارة.»

قال: ان ذلك ليس أقل من عشرين كيلو مترا.»

قالت: عشرون كيلو متر؟ لماذا؟ ان هذا يعني مسافة طويلة؟»

قال: نحو اثني عشر ميلا.»

قالت: هذا، إذن، غير ممكن. لا يمكننا السير كل ذلك الطريق في الظلام.»

لم يكن أمامها العديد من الخيارات. كيف يمكنهما قضاء ساعات الليل الطويلة معا في نفس السيارة بهذه الظروف التي تحمل على الإلفة والمودة؟ ودفعها اليأس الى فتح باب السيارة والخروج لتلقي نظرة على الطريق الذي أقبلا منه. املة في ان ترى أنوار سيارة قادمة. ولكن الطريق كان خاليا. فقد كان صوت الرياح هو الصوت الوحيد المسموع. والآن قد اختفت الشمس كليا. ابتدأ الهواء بالبرودة التي ينقلها من قمم الجبال الثلجية. وأحست سارة برعشة باردة تشمل جسدها. وضمت ذراعيها حول جسدها وهي تنظر حولها. تفكر في اللحظة التي يتوجب عليها فيها ان تدخل الى السيارة لتمضي بقية الليل وحدها مع جيمس في جوف البرية. جاءها صوته بما يشبه الأمر: «ادخلي قبل ان يصيبك البرد.»

ألقت إليه نظرة متعجرفة وقالت: «انني بخير. وسأدخل ساعة اشاء. شكرا.»

خرج من السيارة بعد ان سحب كنزة صوفية من المقعد

www.rewity.com SARAHEEN

الخلفي ووضعها على رأسه قبل ان يسير نحو مجموعة من الاشجار. وهو يقول «كما تشائين».

هتفت به وهي تحاول ان تتبعه «انتظر... إلى أين انت ذاهب؟» ولكنها توقفت وهي تراه ينظر إليها من فوق كتفه ساخرا وهو يقول «كنت ارجو ان أذهب دون ان تلاحظي ذلك. ولكن الوسائل لذلك محدودة هنا. وعلينا في هذه الحالة. ان نستعمل ما يتيسر لنا من الاشياء لذلك».

قالت «الوسائل... أوه...!» وأدركت غرضه فجأة. لتستدير عائدة الى السيارة تتخذ فيها مقعدها وقد ألهب وجهها الشعور بالحرج. لقد كان من سوء الحظ احتجازهما هنا. ولكن الاسوأ من ذلك ان المرء لا يتيسر له ادنى وسائل الراحة عند اضطراره القيام باحدى الوظائف الطبيعية... ماذا صاحت به تسأله بهذا الشكل؟

الآن. لقد انحصرت أمانيها في ان يمر بهما من بعد لهما يد العون.

مرت الدقائق متباطئة وقد اختفت الشمس وراء قمم الجبال. بينما اخذ الظلام يزحف على تلك البراري. نظرت سارة الى ساعتها وهي تحسب كم من الوقت ستقضي قبل ان يطلع الصباح. وتجمد الدم في عروقها وهي تسمع صوت محرك سيارة. ولكنها ما لبثت ان احست بالارتياح بعد ان شعرت ان العون ربما قد جاءهما بأسرع مما توقعا. وترجلت من السيارة لتركض في الطريق. وهي تلوح بذراعيها لتستوقف السيارة القادمة نحوهما. «انتبهي». وأحست بذراعين تلتفان حول وسطها لتقذفها

بعيداً عن الطريق. في الوقت الذي اندفعت فيه السيارة متجاوزة إياها والتي كانت من القرب منها بحيث لفحها الهواء الساخن من المحرك.

قال جيمس معنفا «ان هذا أكثر الاعمال غباء. كيف تندفعين في الطريق بهذا الشكل؟ أجيبي...» وهزها بعنف جعل رأسها يهتز كرأس دمية. وقد ضغطت أصابعه على ذراعيها حتى كادت تتغرز في لحمها وهو يتابع قوله «كان من الممكن ان تقتلي لو لم أمسك بك في الوقت المناسب».

هزت سارة كتفيها. لقد كانت متأكدة من ان السيارة ستتوقف إذا هي اقتربت منها بهذا الشكل.. ولكن... انتزعت نفسها من يدي جيمس الخشنتين وهي تقول «كنت أحاول ان اطلب المساعدة. وهذا كل شيء. كيف كان لي ان أعلم ان ذلك المعتوه قد يقتلني؟»

قال باحتقار وهو ينظر الى السماء المظلمة «يمكن ذلك بشيء من اللباقة». وعاد ينظر إليها متابعا «ان المكان هنا شديد الظلمة ولا أظن السائق كان سيراك قبل ان تكتسحك عجلات سيارته. أما كان الاجدر بك ان تعملي عقلك قبل ان تندفعي بهذا الشكل؟»

ضحكت بمرارة وهي تقول «انك الآن تتهمني بالتسرع. وهذا الصباح اتهمتني بالتشدد... ألا ترى ان هاتين الصفتين متناقضتان؟»

قال «كلا. وأظن ان إحداهما ناتجة عن الأخرى. ذلك انك امضيت سنين عديدة من حياتك محصورة ضمن

نظام معين. وما ان أتى وقت تتحررين فيه. حتى اندفعت الى الطريق دون تفكير! والآن. إذا كنت قد انتهيت من التسبب في المشاكل لهذه الليلة. فإنني اقترح ان تعودي الى السيارة. لأنني اشعر ان درجة الحرارة ابتدأت في الانخفاض. ولا نريد ان تنتهي بنا هذه الليلة وقد تعرضنا للبرد. إضافة الى كل المزعجات الاخرى.»

فكرت هي في أنه يعني المزعجات التي تسببت هي فيها. طبعا هو لم يقل ذلك حرفيا. ولكن ذلك كان واضحا من لهجته. لا بد ان فكرته عنها في غاية السوء. ولا يبدو هناك أي احتمال في تغيير فكرته تلك. خصوصا وهي لا تفتأ ترتكب الحماقات. ماذا جرى لها؟ انها تفسد كل شيء تتدخل فيه. بينما هي تلك المرأة المسؤولة الناضجة ذات الوظيفة المحترمة.

تبعت سارة بصمت الى السيارة حيث استقرت في مقعدها مستندة الى الباب تاركة فسحة بينها وبينه. وكما سبق وقال. اخذ الجو يزداد برودة. وأخذت هي تفرك ذراعيها لتلتمس الدفء. لينظر هو إليها متسائلا: «هل تشعرين بالبرد؟»

اومأت برأسها وهي تغوص في مقعدها متجنبة نظرته المتفحصة الى ان سمعته يتنهد بصوت مسموع وهو يخلع كنزته قائلا: «هل تراك تمثلين دور الشهيدة. يا سارة؟ والآن خذي ارتدي هذه. فهي ستدفئك.» ناولها الكنزة. ولكنها هزت رأسها رفضا وقد بان الازدراء في عينيها الزرقاوين وقالت: «كلا. شكرا. إذا انا شعرت بالبرد فعندي بعض الملابس المدفئة في حقيبتي. وسأخرج بعضا منها.»

قال: «ماذا؟ تلك القمصان والكنزات الخفيفة المخرمة؟ انك بحاجة الى ملابس أكثر دفئا. ومد يده يمسك بمعصمها يجذبها إليه. ضاقت عيناه عندما حاولت ان تمانع وقال: «لا تقلقي يا حلوتي. انني لا أحاول اغوائك. انني فقط لا اريدك ان تصابي بالتهاب رئوي مما يزيد في مشاكلي.» وبحركة واحدة. ادخل رأسها في الكنزة. مدخلا يده ليمسك بذراعها ويدخلها في الكم عندما لم تحاول هي التجاوب معه. ارتبكت وهي تقول: «إنني... انني استطيع القيام بذلك بنفسي.» ولكنه مضى في عمله دون ان يجيب وشعرت بضربات قلبها تتلاحق وهي تحس بدفء يده على جسدها.

عندما تحركت يده ببطء لتدفع يدها داخل كم الكنزة حاولت ان تمنعه. ولكن يده مضت في عملها ببطء ليأخذ معصمها الآخر ويكرر نفس العملية. وعندما انتهى وسحب يده. بقيت تشعر بتأثير ذلك على مشاعرها للحظة بدت لها أبدية.

قالت: «جيمس...» لفظت شفتاها اسمه برقة متناهية لم تكد تخترق الصمت الذي ساد بينهما. ولكنها كانت تعلم انه سمعها. وعرفت من الطريقة التي قابل فيها نظرتها أنه فهمها كما فهمت هي نفسها.

امتدت ذراعه تجذبها نحوه لتحضنها. وتمتمت مرة أخرى: «جيمس... إنني...»

قاطعها فجأة: «سأخرج لإحضار كنزة اخرى من حقيبتي.» وترجل من السيارة صافقا الباب خلفه بعنف متجها الى الصندوق. وغصت سارة بريقها وقد تجمعت الدموع في عينيها. لماذا تلفظت باسمه بهذا الشكل؟ لم تكن تكن تدرك ان في ذلك، بالإضافة الى نظرتها إليه، دعوة صريحة!»

اغمضت عينيها وقد تملكتها التعاسة وسمعت صوت قدومه وهو يفتح باب السيارة ويتخذ مجلسه بقربها وراء المقود. وهو يقول: «من الافضل ان نحاول نيل قسط من النوم، ذلك أنه إذا لم نحصل على عون عند الصباح، فإن علينا ان نمشي الى القرية. ولهذا من الافضل ان نحتفظ بقوانا.»

كان صوته باردا غير معبر... فهمت منه ان ما حدث بينهما منذ دقائق قد انتهى. كان اندفاعا غريزيا لا ينبغي له ان يتكرر. ويجب ان ينسيا كل شيء عنه كأي شخصين عاقلين. ولكن، في اعماقها كانت سارة تدرك انها لا يمكن ان تنسى ابدا تلك اللحظة.

لو ان جيمس استدار إليها في تلك اللحظة، فاتحا ذراعيه، هل كانت ستلقي بنفسها بينهما دون اي تفكير في الماضي؟

الفصل السابع

كانت سارة تدرك في اعماقها انه كان حلما. وهي تدرك انها لو استطاعت ان تتخلص من كابوس عقدتها ذاك لكانت اصبحت حرة. ولكن الخلاص الآن قد أصبح مستحيلا... فقد كانت الخنوة مؤلمة. وكان يجب ان تسبقها خطوة أخرى خفية لعل في ذلك يتم الخلاص.

تحركت بعدم ارتياح وقد شعرت برأسها يلتوي على المسند الجلدي. وتحرك جفنها باضطراب عندما ابتدأت الصور تظهر تحتهما.. الصور التي ما فتئت تزورهما منذ سنين.

«كلا! كلا... أرجوك... كلا!» وكان صوتها أبح يملؤه الرعب ويخترق اعماق الصمت الذي كان يتجاوب في عقلها ليزداد الرعب في نفسها. وعندما شعرت بيدين تمسكان بها بشدة، صرخت بصوت يشبه العويل قبل ان ينتهي بأنين متقطع لا ينتهي.

«استيقظي يا سارة... هيا.. استيقظي.» وشعرت بنفسها ترفع وقلبها يخبط الدم في أنحاء جسدها. وأخذت، دون وعي منها تتلوى وتستدير وتخدش اليدين اللتين كانتا تمسكان بها.

سمعت صوتا خشنا يهتف بها، وشيئا يمسك بوجنتيها يحاول إيقاظها وتخليصها من الكابوس بشكل مفاجئ، جعلها تهتز وترتعش. حدقت الى الشخص المنحني

عليها بعينين متسعتين وهي تحاول ان تتمالك نفسها مرة اخرى. وضعت يدها على وجنتها شاعرة بحرارة من أثر ضربة جيمس في محاولته لايقاظها.

قال بصوت خشن «لقد كنت تعانين من كابوس. وكان علي ان اضربك كي تستيقظي. إنني آسف.»

اومأت برأسها وحولت وجهها الى النافذة تنظر الى الظلام بعينين ساهمتين. أتراها قالت شيئا اثناء ذلك الكابوس؟ هل افصحت عن الرعب الذي يساورها دوما عندما تزورها الأحلام؟.. والعجز الكامل؟ لم تستطع ان تتقبل فكرة ان يعلم بالأمر.

احست بالذعر. فقفزت من مكانها واستدارت تنظر اليه. تلاقت نظراتهما لحظة قبل ان تشيح بوجهها. لقد كان من الصعب عليها ان تقرأ تعابير وجهه، أو ما هي الأفكار التي تعتمل وراء ذلك القناع الجامد الذي يضعه على وجهه.

قال بصوت منخفض: «اتريدين ان تتحدثي عن ذلك؟»

هزت رأسها ليتناثر شعرها حول وجهها وقد تساقطت المشابك منه. ثم عاد فقال: «يمكنني ان اساعدك. إن لدي شعورا بأن هذا الحلم ليس هو الأول. أليس كذلك؟»

قالت وهي تحس بالجفاف في حلقها وصعوبة في إخراج الكلمات «كلا.» وساورها الالم إذ تفكر في ما قد يفهم من قولها هذا. وتابعت «أعني كلا. لا اريد ان اتحدث عنه. إنه مجرد حلم سيء. هذا كل شيء.»

قال «كان حلما من السوء بحيث كنت تتخبطين كامرأة مجنونة. كان من السوء بحيث كنت تصرخين وكان حياتك في خطر. تبا على ذلك يا سارة. لماذا تكذبين؟ لقد اعتدت على ذلك الحلم من قبل. أليس كذلك؟ لماذا؟ هل هو نتيجة شيء حصل لك. ولا تتفكين تستذكريه على الدوام؟»

جعلها الخوف تتكلم بسرعة لتنفي الحقيقة «كلا. لقد كان مجرد حلم لا أكثر. ألم يحدث لك انت ان رأيت حلما سيئا. ام ان جيمس العظيم يملك مناعة ذاتية ضد مثل هذه الاشياء؟»

فقال «أوه. لقد لازمتني الكوابيس فعلا في المدة الاخيرة نتيجة تلقي عما يمكن ان يكون قد حدث لكاترين. ولكنني لا أنكر انني شعرت بمثل هذا الخوف الذي ظهر عليك الآن يا سارة.»

قالت وهي تشيح بوجهها عن عينيه المتفحصتين: «إنني...»

قاطعها «مهما كان ذلك الحلم. فما زال يملك من السيطرة والقوة بحيث يؤذيك. لماذا لا تخبريني عنه يا سارة؟ ربما إذا نحن وضعناه تحت المناقشة، يكون في ذلك فائدة لك.»

كان في صوته نوع من العطف، وشعرت للحظة واحدة بدافع الى ان تفرغ كل ما في نفسها. وأن تشارك إنسانا آخر في هذا السر الذي خفته كل تلك السنين... ولكن، عاودها حذرها فجأة... كيف تخبره بذلك؟ كيف يمكنها ان تحتمل تحول نظرات العطف

www.rewity.com

تلك الى نظرات تحمل كل معاني الإزراء والإحتقار، عادت تقول: «ليس عندي شيء أخبرك به. انه مجرد حلم فظيع لا غير.»

قال: «كما تشائين. إنني لا استطيع ان ارغمك على الكلام. ولكن، ليس ثمة شيء يمكن ان يغير رأيي يا سارة. وهو ان هناك اكثر من هذا الكابوس... أكثر مما صرحت عنه...»

انزعجت من نبرة الثقة في صوته. فاستدارت إليه لتقول بسرعة: «ومن تظن نفسك لتجلس وتستجوبني عما احلم به ولماذا؟ إنك رجل صعب يا جيمس إلى حد لا يصدق بعجرفتك هذه وباعتقادك انك دوما على حق. ولا عجب ان وجدت ابنتك كاترين مؤخرا انها لا يمكنها التفاهم معك. وأنا اشك في انك استمتعت يوما من الايام الى ما تقوله لك...»

اظلم وجهه بالغضب وتلاشى من ملامحه كل اثار العطف ليبدو وجهه قناعا جامدا. وهو يقول: «انا لا اريد ان اناقش معك علاقتي مع ابنتي. لقد كنا نتحدث عنك يا سارة. فهل هذا يسبب لك عدم الإرتياح؟ هل هذا ما دعاك الى تغيير الموضوع؟»

قالت متلعثمة: «انا... كلا.»

لم يلتفت الى معارضتها وبقي يحدق فيها متمعناً. كيف ندمت على كلماتها المتسرعة وعلى تحديها له مرة أخرى. كان يجب ان تعلم بالخبرة انها دوما تخرج خاسرة عقب كل جدال معه.

قال: «يبدو لي ان المشكلة الحقيقية تكمن في رفضك الحديث عن هذه العقدة في حياتك. وربما لو كشفت عنها لما عاودتك الآن.» هز كتفيه بخفة دون ان يحول نظراته عن وجهها متابعا: «يمكن ان تكذبي قدر ما تشائين وتقدمي أي نوع من الاعذار، ولكن ذلك لم يكن مجرد حلم سيء. أليس كذلك؟ لقد كان كابوسا اعتاد ان يأتيك مرارا... كابوسا هو نتيجة شيء حدث لك في الماضي.»

«كلا...» كانت تريد ان تصرخ نافية.. ان تصرخ بذلك بشدة ووضوح في وجهه المتعجرف. ولكن هذه الكلمة خرجت من بين شفتيها همسا. لقد تسرب الغضب من نفسها تاركا إياها ترتجف وكأنما هي تعترف بصحة قوله ذاك. هل كان كذلك مصيبا في قوله إنه كان عليها ان تتحدث عن هذا الأمر قبل الآن؟ هل كان عليها ان تكشف عن هذا السر القاتم لاحتمال ان تجد شفاء لجرحها ذاك؟

ساد بينهما صمت ثقيل ضغط على اعصابها فأرهقها. وفجأة سمعت جيمس يتنهد بهدوء قائلا: «إنسي هذايا سارة. فقد تأخر بنا الوقت وأنا مجهد جدا بحيث لن يمكنني متابعة حديث كهذا. والأفضل لنا، نحن الاثنين، ان نلتمس شيئا من النوم.»

اطفأ الضوء الداخلي لتغرق السيارة في الظلام مرة اخرى. واتكأت سارة على الباب مصغية الى تنفس جيمس المنتظم وقد أراح رأسه الى مسند مقعده.

وأخذت تنظر إليه محاولة ان تتبين تفاصيل جانب وجهه حيث كان يبدو عليه الاستسلام للنوم. وشعرت نحوه بالحسد لذلك. ذلك أنه لم يكن بمقدورها النوم الآن. خصوصا بعد ذلك الجدل الذي دار بينهما وكذلك بتأثير ذلك الكابوس الذي مازال ماثلا في ذهنها.

تحول وجهه نحوها مرة واحدة لتشعر. لذلك. بالعصبية وبقلبها يخفق بعنف داخل صدرها. فحولت وجهها فجأة متكئة برأسها على حديد الباب البارد. وقد ساورها شعور بالوحدة لم تشعر به في حياتها. وسالت من عينها دمعة واحدة مستوحشة لتمسحها بسرعة بيد مرتجفة وقد خشيت. إذا هي فقدت تماسكها لعواطفها. ان لا تستطيع. بعد ذلك. التوقف.

فاجأها صوته خشنا «هل انت بخير؟» بخلاف يديه اللتين امسكتا بكتفيها برقة ليديرها في مواجهته وهو يجذبها إليه. الى درجة استطاعت فيها سارة ان تميز لمعان عينيه برغم الظلام. وحاولت تلقائيا ان تتملص منه. ولكنه أمسكها بقوة وقد أحاط جسدها الرفيق بذراعيه مريحا رأسها على كتفه. ثم تكلم بصوت هادئ عميق بعث الدفء في أعصابها المتوترة وذهب بذلك الشعور بالوحدة الذي انتابها منذ لحظات. وقال «ربما كنت خشنا معك وواضح انك ما زلت مستاءة. ولكن جربي ان تريحي نفسك إذ من غير المحتمل ان يعاودك ذلك الكابوس هذه الليلة. أليس كذلك؟ والآن. حاولي ان تنامي».

أخذ يمرر يده الكبيرة الدافئة على شعرها. أرادت ان تطلب منه الكف عن ذلك. ولكن الكلمات. لم تخرج من بين شفتيها. وشيئا فشيئا. أخذ جسدها بالاسترخاء.

قال فجأة «هل انت أحسن حالا الآن؟» وكان في صوته ما أجفلها. اومأت برأسها مجيبة. عادت اصابعه تجول في شعرها الكث. واستكانت هي للشعور بالأمان والسلام اللذين خلفهما ذلك في نفسها. الأمن والسلام اللذان لم تشعر بهما منذ زمن طويل... وقت طويل جدا.

عندما توقفت يده عن الحركة. عادت تدس رأسها في كتفه كالقطة تطلب مزيدا من الملاطفة. وسمعته يضحك بصوت خافت قائلا «لقد أحببت هذا. أليس كذلك؟»

بعث صوته رجفة في أوصالها ورفعت وجهها عن كتفه برغم تمنيها ان تدوم هذه اللحظات.. ولكن ذلك لم يكن ممكنا. لقد كانت سارة مارشال المعلمة. وكان هو جيمس. والد إحدى تلميذاتها. وهذا كل ما كان يمكن ان يكون بينهما. وغمر نفسها حزن عميق. وللحظة ارتفعت يدها وكانها تريد لمسه قبل ان تسقط الى جانبها ثانية بصمت. لقد كان يقدم إليها الراحة لا أكثر ولا أقل مما كان يمكن ان يقدمها إلى أي امرأة اخرى وجد نفسه معها في ظروف مماثلة. وهي ستكون حمقاء لو انها توقعت شيئا أكثر من هذا في هذه الفترة الثمينة من السلام.

سألها بهدوء «هل انت بخير؟» وانحدرت اصابعه الى ذقنها ليدير وجهها إليه. وشكرت سارة الظلام إذ اخفى مشاعرها.

قالت بصوت هادئ: «نعم.» كلمة واحدة مختصرة هي كل ما استطاعت قوله. الكلمة الوحيدة التي خالتها لا تنبئ عما في نفسها.

لكن يبدو ان جيمس لمس الحزن في لهجتها إذ انه انحنى ينظر في عينيها قائلاً: «هل انت متأكدة؟»

فأومأت برأسها صامتة وقد ارتفعت خفقات قلبها حتى خشيت ان يسمعها. رفعت رأسها لتبتعد عنه. ولكنه شدد من احتضانه لها. همست: «جيمس.» كان اسمه عذباً في فمها الى حد شعرت معه بأنها تريد ترديده مرات ومرات. ولكن.. ما الذي تنتظره؟ القسوة التي عاملته مرة؟ اللفظة التي ألقت الرعب في نفسها من قبل؟ ولكن ما كان يحذرها عقلها منه، لم يحدث.

فجأة احست بالعار لموقفها ذاك... ماذا هي بسبيله؟ وحاولت ان تخلص نفسها منه ولكنه كان يشدد من احتضانه لها. قالت لاهثة: «دعني.. دعني أذهب.» كان صوتها ملينا بالحرج... ولدهشتها، تركها فجأة بهدوء ولطف وهو يتطلع الى وجهها خلال الظلمة بمعنى النظر في وجهها الشاحب الذي بدا عليه الخجل وقد تلاشت من نفسها كل المشاعر التي اكتنفتها من قبل.

قال: «إننا لم نفعل أي شيء خطأ يا سارة... لا شيء يجعلك تشعرين بهذا الخجل.» كان صوته رقيقاً حنوناً أكثر مما توقعت وأكثر مما تستحق إذ سمحت له منذ البداية ان يلاطفها بهذا الشكل.

قالت وقد سقط آخر مشبك من شعرها لينسدل على

كتفيها: «أحقاً؟ انني لست من الخبرة بحيث استطيع ان احكم على مثل هذا التصرف؟»

قال: «أصحيح هذا؟ ولكنني رأيت منك تجاوباً جيداً.» ولم تنتبه الى أنه إنما يقصد إغاظتها من باب المزاح بكلامه هذا، فقط لكي يدخل الراحة الى نفسها.

قالت: «حسناً اني آسفة إذ جعلتك تأخذ عني هذه الفكرة. كان يجب ان ادرك انك دوماً تظن بي الأسوأ.» ضحكت بمرارة وهي تتابع: «ربما ستتهمني في المرة القادمة بمحاولة إغوائك.»

قال: «لا اظن ذلك. ربما عندي اخطاء يا سارة. ولكن عدم الاعتراف بالخطأ ليس واحداً منها. لقد احتضنتك لأنني اردت ذلك اكثر من أي شيء آخر في العالم.» وأمسك بشعرها يشده ليجبرها على النظر إليه بينما أضاء هو النور قائلاً: «لقد ساورتني رغبة ما... يا سارة لولا ان عقلك نبهك الى ذلك في الوقت المناسب.»

تلعثمت وهي تتمتم: «انا... جيمس... إنني...» ولم تعرف ما تقول. لم تجد الكلمات المناسبة لتعبر عما في نفسها... لو لم تعد الى رشدها وتنسحب من بين ذراعيه في الوقت المناسب لكانت هي وجيمس...

اغمضت عينيها وقد شحب وجهها. لم يخطر في بالها من قبل انها يمكن ان تشعر نحو رجل بمثل ما شعرت به مع جيمس.

قال فجأة: «لقد كان شعورك نحوي مثل شعوري نحوك، أليس كذلك يا سارة؟»

هل تراه قرأ افكارها؟ ولم تستطع ان تكذب برغم تعقلها وشعورها ان من الجنون الاعتراف بذلك. وقالت «نعم..» تنهد وهو يقول «نعم. اعتقد ان هذا أحد الاسباب التي تدفعنا دوما الى الجدل بكثرة. ان التجاذب العاطفي يمنح مشاعر قوية..»

ماذا كان يقول؟ هل كان يعني حقاً انه يشعر بالانجذاب نحوها؟ ولا بد ان الصدمة بدت على وجهها لانه ابتسم ببرود وقد خلت عيناه من الدفء، وهو يقول «ارى ان كلامي هذا قد ادهشك يا سارة؟ اعني شعوري نحوك..» وألقى نظرة قاسية عليها وتابع قائلا «إنه يدهشني انا ايضا ذلك لأنك لا تملكين شيئا من أوصاف النساء اللواتي يجذبنني..»

تضرج وجهها إزاء سخريته القاسية، ومضت تحدق فيه بصمت دون ان تتمكن من إخفاء انها لما قال. كان من الواضح ان رجلا جذابا مثله لا بد ان تكون لديه صديقات. ولكن ان يتكلم عنهن بمثل هذه الطريقة أمامها. كان ذلك أكثر مما تطيق.

قال «ماذا جرى يا سارة؟ لماذا لا تقولين شيئا؟ هل أذيت احتشامك بالحديث عن مثل هذه المواضيع؟» وهز رأسه لتسقط خصلة من شعره على جبينه العريض العريضة مما أكسبه وسامة بالغة. وتابع «أذكر انني اتهمتك مرة بتكتيك تقومين بدور تمثيلي علي، وأنا اتساءل الآن عما إذا كنت حقا بعيدا عن الحقيقة في هذا. ذلك ان تجاوبك معي كان يحوي أي شيء ما عدا الاحتشام يا حلوتي..»

اصبح فجأة بمثل هذه القسوة؟ لماذا يلسعها دوما بلهجته الباردة الخشنة ليجعلها تشعر بمدى حماقتها؟

بادلته النظر لحظة طويلة، ثم تنفست ببطء بينما تلاشت آخر نفحة من السحر الذي اكتنفها كما كان يجب ان تعلم بذلك. لقد خلت حياتها من أي نوع من السحر وذلك لسنوات عديدة. ولهذا كان من الحماقة ان تتوقع ان حياتها تلك قد تتغير.

قالت «لا استطيع تغيير طريقة تفكيرك، يا جيمس. لهذا لن اضيع الوقت في مثل هذه المحاولة. يمكنك ان ترجع تجاوبي معك الى أي سبب شئت. ولكنني أشك في انك ستكون على صواب..» كان صوتها مماثلا لبرودته.

بدا الغضب في عينيه قبل ان يبتسم بعبوس قائلا «إنك سريعة التأثر يا سارة. تبدين مختلفة جدا عما كنت أظنك عليه عندما ابتدأنا هذه الرحلة..»

قالت «أحقا؟»

اجاب «مختلفة جدا. ان فيك عمقا خفيا يا سارة مارشال، وأنا لا اعني بقولي ذلك السر القاتم الذي يبدو أنك مصممة على الاحتفاظ به لنفسك. إنه يجعلني اتساءل عما يمكن ان يكون إذا انا حاولت الغوص في اعماقك..» وانحدر نظره الى فمها قبل ان يعود فينظر في عينيها قائلا «ان فيك نوعا من الإثارة الكامنة يا سارة.. إثارة لم تكتشف من قبل ولا يمكن لرجل ان يقاومها..»

ساورها خوف حاد ولكنها قاومته وهي تقول «إذا كنت تعني انك ستكون الرجل الذي يكتشف ذلك فلا تزعج

www.rewity.com

نفسك. فانا لست معروضة في السوق اطلب صديقا. وشكرا جزيلا.»
بسرعة اصعقتها. مد يده يجذبها نحوه وهو يقول: «كلا. اظن ان هذا تماما ما انت في حاجة إليه. انك في حاجة الى صديق ينتشلك من نمط حياتك.»
ابتعدت عنه وهي تقول: «كيف تجرؤ على هذا الكلام؟» ودفعت يده عنها لتعود فتغوص في مقعدها ثانية وهي تقول: «لا اريد منك او من اي شخص آخر ان يعلمني كيف أعيش حياتي الخاصة.»
قال: «انك مخطئة في ذلك. يجب ان تجدي رجلا لتعيشي حياتك قبل ان يفوت القطار. هل حياتك الآن هي حقا بالشكل الذي تريدينه يا سارة؟ هذه الحياة الموحشة؟ انك في حاجة الى رجل ككل امرأة.»
ضحكت سارة بمرارة وهي تقول: «تعني الحب أم الصداقة؟ اتظن ان علي ان اقفز الى أول رجل يدعوني؟ وذلك للخلاص من مشاكلي؟» وعضت شفتها قبل ان تتحول مرارتها تلك الى هستيريا واستطردت تقول: «حسنا... وشكرا. انني لا أريد علاجا من هذا النوع.»
قال: «إنني لا أقدم نفسي وإنما اقول بالفحص. انني اعترف بأني اجد فيك نوعا من الجاذبية. ولكنني افضل ان تأتي إلي المرأة التي أريدها من تلقاء نفسها ومن دون حبال تشدها الى الخلف وانت يا حلوتي ثمة حبال كثيرة تشدك الى الخلف مما يأخذ مني العمر بطوله لأنفذ منها.» هز كتفيه ببساطة وتابع: «على أي حال.

إذا انت استطعت ان تتخلصي من كل هذه الحبال. فارسلي إلي خبرا.»
قالت بحدة: «انني لن أرسل اليك استدعيت ولو كنت الرجل الوحيد الباقي في العالم يا جيمس. هل هذا واضح؟»
أدارت له ظهرها متكئة على الباب، وتضرج وجهها إذ سمعته يتمتم شيئا هامسا بلطف... شيئا ذا معنى...
اغمضت عينيها متظاهرة بالنوم، ولكنها لم تنم إلا بعد وقت طويل من انتظام انفاسه.
لقد كانت تفكر في تلك الدقائق السحرية التي أخذها فيها بين أحضانه. ولم تفكر في الخطأ او الصواب في هذا الفعل. ولا ما حدث في الماضي. لقد تجاوبت معه في مشاعرها وكأنها كانت في انتظار هذه اللحظة طيلة حياتها.

الفصل الثامن

تراءى الضباب ليسمح لأشعة الشمس بتغطية المنطقة الريفية بوشاحها الذهبي. وقفت سارة تلتقط انفاسها. وتدفع خصلات شعرها الرطبة عن وجهها وهي تراقب القرية الصغيرة وقد ابتدأت تلوح لهما عن بعد.

لقد ابتدأ بالمسير منذ اكثر من ساعة. وإذا كانت تلك القرية هدفهما، فما زال أمامهما مسافة لا بأس بها.

لقد ابتدأ السير الآن على طول الطريق الذي هو واحد من عدة طرق عبر سلسلة الجبال التي تفصل فرنسا عن اسبانيا. ومع ان جيمس قد حاول عدة مرات ان يجر السيارة الى الطريق العام، طالبا المعونة، فإن واحدة من السيارات المارة لم تقف طلبية.

جيمس... ومر هذا الاسم مخترقا الحاجز الذي أقامته في نفسها اثناء ليلة طويلة لم تذق فيها النوم. استدارت تنظر إليه وقد عاد إليها مرة اخرى الغريب بالخسارة والوحدة. ونظرت إليه بشعره الأسود وبشرته التي لوحتها الشمس تتدلق تحت أشعة الشمس الباهتة.. بدا وسيما جدا. وشعرت بقلبها يخفق بشدة.. شعرت بأن الحواجز الهشة في نفسها قد ابتدأت تتحطم.

لا بد أنه قد شعر بها تراقبه، لأنه استدار وقد بدافي عينيه تعبير قطع منها الانفاس. ولكن هذا التعبير ما لبث ان اختفى مما جعل البرود يتملكها. وإذا كان لها

ان تتعلم درسا من الخبرة التي اكتسبتها الليلة الماضية، فهو، أن لا تتوقع شيئا من جيمس مالك اليستر ابدا.

قال لها بصوت يكتنفه البرود: «هل انت مستعدة؟» كانا يبدوان كشخصين غريبين ترافقا في الطريق وليس كشخصين جمعتهما اوقات هادئة في السيارة.

شعرت سارة بالغضب في اعماقها وهي تقول: «نعم.» كانت الحدة واضحة في نبرات صوتها كما كان الغضب في لمعان عينيها. لكن جيمس لم يقل شيئا برغم انه نظر إليها متفحصا. عضت على شفتها وهي تتجاوزه الى الامام، وقد كرهت نفسها لمحاولتها تذكيره بما حدث بينهما، كما كرهته أكثر لرفضه ذلك. لقد كان شعوره لا ينم عن أي عاطفة او إحساس.

هتف بها فجأة: «انتظري.» بينما يده تمتد لتسحبها الى الخلف على العشب الخشن الذي على حافة الطريق.

انتزعت سارة يدها من يده وهي تسأله باختصار دون ان تنظر إليه، لتبقى نظراتها معلقة في الطريق الذي يمتد امامهما: «ماذا حدث؟»

أجاب: «اظنني اسمع شيئا. إنه صوت أقوى من صوت السيارة ربما هي شاحنة. وقد يقبل سائقها ان يقدم لنا يد العون بخلاف ما فعل السائقون الذين مروا بنا.» ألقى عليها نظرة وقد توترت ملامحه وهو يرى كيف كانت تحدق بعينيها الى الطريق خلفه. ثم قال: «انتظري عندك، لا تركضي في الطريق كما فعلت الليلة الماضية.»

لم تستطع ان تمنع نفسها من النطق بكلمات سرعان

ما ندمت عليها. إذ قالت: «لا تهتم. فنا وإن كنت معلمة، لا انني ما زلت في حاجة الى استيعاب دروس جديدة. وأنا لا يمكن ان انسى ما تعلمته الليلة الماضية.»

بدا الغضب في ملامح جيمس وهو يسمع نبرة التهكم في صوتها. ولكن قبل ان يتفوه بكلمة. لاحت لهم شاحنة تبرز من جوف الضباب متقدمة نحوهما. خطا جيمس الى الطريق دون ان يتفوه بكلمة وهو يلوح بذراعيه تاركا سارة تعض على شفتها ندما على تفوهها بتلك الكلمات الاستفزازية. صحيح انه لم يرد عليها. ولكن التعبير الغاضب الذي بدا على ملامحه كان أبلغ جواب. وشعرت بقشعريرة باردة وهي تتساءل عما سيتنظرها عندما يصبحان بمفردهما. وكان عليها إما ان تقف وإما ان تلحق به.

توقفت الشاحنة وأنزل سائقها زجاج النافذة وقد بدا عليه الاستياء، لاعتراض جيمس طريقه بهذا الشكل.

امسك جيمس بذراع سارة يجرها معه نحو الشاحنة وهو يصرخ بها بجفاء: «هيا. اسأل السائق عما إذا كان في إمكانه إيصالنا الى أقرب بلدة.» وقف جانبا وقد بان نفاد الصبر على وجهه بينما كانت هي تشرح للسائق حالهما.

سألها اخيرا: «حسنا. ما الذي قاله؟»

اجابت وهي ترد شعرها الى الخلف: «قال إنه ذاهب الى القرية فقط. ولكننا نستطيع هناك ان نجد من يوصلنا.»

قال جيمس وهو يفتح باب الشاحنة ويساعدها على الصعود دون ان يخفي نفاد صبره ذاك: «حسنا. يبدو ان الأمور تتحسن معنا اخيرا.»

انكمشت سارة في مكانها وهي ترى نظرات الاعجاب تنصب من السائق على ساقيها اللتين رفع الهواء عنهما ثوبها اثناء صعودها. فأسرعت تشد التنورة على ركبتيها. اخيرا استقرت في مقعدها عندما صعد جيمس وجلس الى جانبها. حاولت ان تفسح له المكان ليخفف من التصاقه بها. ولكن المكان كان أضيق من ان يتسع لهم هم الثلاثة. وعندما تحركت بهما الشاحنة. انزلقت هي نحو جيمس والتصقت به.

قال: «ما بك. انني لن اعضك يا امرأة.»

قالت: «كلا.» كان في هذه الكلمة النفرة التي تفوهت بها حدة لم تقصدها كما انها لم تخف عليه. فابتسم فجأة وقد التوت شفتاه بمكر بطريقة جعلت قلبها يخفق بعنف.

أجاب: «كلا. انا لا أعض. على الاقل ليس بتلك الطريقة.» وألقى عليها نظرة طويلة جعلتها ترتعش. ما لبث ان بدت في عينيه ابتسامة ممزوجة بشيء آخر... بشيء لم يوقف تلك الرجفة من ان تسري في أوصالها. وتابع: «لو كان الوقت مناسبا. لكنت... هنا إذا كنت تفهمين ما أعني.»

هل ما بدا في صوته هو نبرة إغواء؟ لقد كانت طبعا كذلك. لقد كان جيمس بعيدا عن السخرية وهو ذلك

الرجل الرصين المجرب الذي يعرف تماماً ما يقول. إنه يعلم تماما تأثير تلميحاته تلك على النساء.

نظرت سارة إليه، ولكن لم يبد عليه الانزعاج للضيق الذي ظهر عليها وهو يمد ذراعيه على مسند المقعد خلفها، لتحتك أصابعه برقبتها.

حاولت إبعاد رأسها بسرعة فاصطدمت بالسائق وتمتمت تعتذر وقد بان الحنق عليها. جلست تحدق في الطريق أمامها حتى انها لم تلق نظرة على جيمس وهو ينحني نحوها قائلا: «انك غير مستاءة أليس كذلك يا سارة؟ انني لم اتصور ان مثل هذه الحركات الصبيانية يمكن ان تصدر عنك.»

اجابت بحدة: «انني غير متسامحة. ان الوحيد الذي تصدر عنه أعمال صبيانية هو انت. انني لا اريد ان اتجادل مع عبثك الاحمق هذا الصباح. ولكن هذا لا يعني اني مستاءة.»

قال وهو يرفع حاجبيه: «عبث أحمق؟ حسناً، حسناً.»

قالت: «وما يعني هذا؟ اسمع يا جيمس، إذا كنت تريد ان تذكرني بما حدث الليلة الماضية في كل لحظة، فالافضل ان تراجع عقلك.» تضرج وجهها وهي تستعيد احداث الليلة الماضية. تبادلا النظرات لحظة صامتين، وشعرت سارة بقلبها يكف عن الخفقان وهي ترى في عينيه صدى كل ما كانت تفكر به. ليشيح عنها وجهه بعد ذلك فجأة. وهو يقول: «لم أكن انا من ابتدأ ذلك على كل حال. وأظن ان من الافضل نسيان ذلك. إذ ان

ليس ثمة احد يحب ان يتذكر على الدوام لحظة مرت وانتهت.»

شعرت برعشة باردة شملت كل اوصالها وانكمشت بجسمها عنه. وقد انتابها الالم بشكل لا يصدق لهذا الوضع بينهما. هل كانت تلك رؤيته لذلك؟ لحظة مرت وانتهت؟ لقد قال لها الليلة الماضية انه يرغب بها. ولكن هل كانت تلك الحقيقة؟ هل كان كل ما في الأمر أنه شعر في ذلك الوقت، بالرغبة في امرأة وكانت في جاهزة أمامه؟

كان الالم الذي شعرت به من الحدة بحيث تسرب الى كل انحاء جسدها لدرجة انها مضت لحظة قبل ان تنتبه الى ان السائق يتحدث إليها. وأخذت تجيبه عن اسئلته بشأن ما حدث لسيارتهما، وقد ركزت انتباهها عليه ليمكنها ان تتجاهل جيمس الذي كان يجلس صامتا محدقا في المناظر الريفية المتتابعة. بدا على السائق الانتعاش بتأثير تركيز سارة اهتمامها عليه. وأخذ يتحدث عن طبيعة عمله التي تدفعه الى التجوال في انحاء فرنسا. وسرت سارة لكون حديثه لا يتطلب جوابا منها، ذلك انها لم تكن تشعر برغبة في تبادل الحديث، عندما ابتدأت الشاحنة تبطيء من سرعتها على مشارف القرية، ابتسمت للسائق بارتياح دون ان تدرك بأن ابتسامتها كانت اكثر دفئا من ان تقدم الى رجل غريب. فقفز من السيارة مادا يده إليها يساعدها على النزول، ثم يرفعها بسهولة مظهرا قوته لينزلها ببطء على الارض.

www.rewity.com ARAYAHEEN

قال جيمس وهو يستدير حول السيارة ليقف الى جانبها وقد بان في نبرات صوته نوع من الجفاء «عندما تكونين على استعداد، هل لي ان اقترح ان نبحث عن مرآب لنرى من يمكن ان يساعدنا في إصلاح السيارة؟» ثم تعجب لهجته سارة وتجاهلت نظرته القاسية وهي تعود الى السائق تكرر شكرها.

ابتسم الرجل وعيناه تحومان حول قوامها الأهيف بطريقة جعلت سارة تشعر بشيء من عدم الارتياح. وأسرعت عائدة الى جيمس لتنظر حولها بدهشة عندما لم تجد له أثرا... وأخذت تبحث عنه بأنظارها لتراه يعبر الساحة يطوي المسافة بساقيه الطويلتين طيا.

ركضت هي في أثره تلحق به ولكنه استمر في سيره برغم مناداتها له عدة مرات لكي يقف.

قالت له عندما لحقت به وهي تزيح شعرها عن وجهها: «لماذا لم تنتظرني؟ لقد اخذت اتساءل اين يمكن ان تكون قد ذهبت؟»

قال من دون ان ينظر إليها وهو مازال يوسع الخطى: «ولماذا أنتظر؟ هل لكي تنتهي لغة العيون بينك وبين روميو ذاك؟»

ابتسم باشمئزاز وقد ساد البرود نظراته بعدما استقرت على وجهها المتضرج. وتابع: «انت مليئة بالمفاجآت يا سارة. انني لم اتصور قط مبلغ شوقك الى الرجال الذي جعلك تلتقطينهم أينما سنحت لك الفرصة».

قبضت على ذراعه تمنعه من متابعة السير وهي تصرخ به: «شوقي الى الرجال! انا؟ لماذا؟ إنك... إنت...»

وامتلأت عيناها بالثورة وهما تتلقيان نظراته الباردة المليئة بالإزدراء. تابعت: «كيف تجرؤ على مثل هذا القول؟ ليس لك الحق ابدا في إلقاء هذا الاتهام!»

ألقى إليها من فوق كتفه بنظرة حافلة بالمعاني وهو يقول: «كلا! ولكن ذلك هو ما استنتجته من تصرفاتك، من الفتى فتاك العاشق ذاك».

نظرت سارة خلفها لبغوص قلبها بين ضلوعها وهي ترى السائق ما زال واقفا براقبها. ربما تصرفت هي مع ذلك الرجل بلهفة اكثر مما يجب. ولكن ذلك لا يعطي جيمس الحق في اتهامها بمثل ذلك الشكل. قالت له: «لا تكن سخيفا. لقد كنت فقط اتصرف بالتهذيب المفروض وهذا كل شيء. على كل حال، فله الشكر لمساعدته لنا فقد كان ذلك عملا طيبا منه».

هز جيمس كتفيه وقد ارتخت عضلات ذراعه تحت قبضتها بشكل أزعجها. وهو يقول: «هناك ثمة نوعان من التهذيب. وأنا متأكد من انك تدركين ما اعني يا سارة. على كل حال، ان ما تفعلينه هو من شؤونك الخاصة ولا يؤثر علي بأي حال. يمكنك ان تحاولي اجتذاب أي شخص تقابلينه. ولكن ليس في مثل هذا الوقت والمشاكل تضغط علينا. ما زال أمامنا مسألة إصلاح السيارة والعثور على كانترين. وربما في إمكانك محاولة السيطرة على غرائزك الى ان ننتهي من كل هذه الامور».

نظرت إليه وهي تتمنى لو انها كانت رجلا. إذن لانهالت بالضرب على ذلك الفك الساخر لتمحو ابتسامة الاحتقار

تلك من وجهه. وصرّت سارة على اسنانها ثائرة وهي تشد قبضتيها الى جانبيها مدركة ان من الخطأ حتى مجرد التفكير في اللجوء الى القوة مع رجل مثل جيمس. انه رجل لا يخضع لأي قانون سوى القانون الذي وضعه لنفسه بنفسه. وبثورة صامتة، تركت يدها تسقط من ذراعه وسارت خلفه تعبر الساحة وهي تفكر طوال الطريق، كيف ترد عليه بالمثل... وتوالت عليها صور الانتقام...

عندما توقف عن السير ظلت خلفه وتصاعد الدم الى وجهها وهي تراه ينظر إليها متأملا. وهو يقول «إنني متأكد من أنك إذا قمت بأي محاولة من تصوراتك هذه، ستنتهين الى السجن. لهذا، هل لي ان أقترح أن تنسي مسألة تصفية الأمر معي وتحصري تفكيرك في المهمة التي جئنا من أجلها الى هنا؟» وأشار برأسه الى مراب قريب، متجاهلا شهقة الاستغراب وهي تراه يقرأ كل ما يجول في ذهنها. وتابع «هل يمكنك ان تشرحي لهم كل شيء عن السيارة ونرى ما إذا كانوا يشبهون لإحضارها للتصليح؟ اننا في حاجة الى متابعة طريقنا بأسرع وقت ممكن.»

اومأت سارة برأسها وهي تشيح بوجهها عن نظراته التي تدرك كل شيء ثم اسرعت الى المراب. كيف أمكنه ان يقرأ ما كانت تفكر فيه؟ لم يكن لديها أي فكرة. إنما يجب ان تكون على حذر وأن لا تبدر منها مثل هذه الغلطة في المستقبل. لقد كانت معه أكثر ضعفا مما

يجب. ولو انه أدرك ما كان يجول في رأسها في المدة الاخيرة، لكان في ذلك ضياعها.

كانت مستندا بظهره الى حائط المراب عندما خرجت إليه. كان واقفا باسترخاء وهو ينظر شبه مغمض العينين يحميها من أشعة الشمس. وترددت سارة لحظة، وهي تتمعن في الخطوط القاسية القوية لجانب وجهه، وانعكاس أشعة الشمس على شعره الأسود وسالفيه الفضيين. وإلى سرواله الجينز القطني الخفيف الذي كان يرتديه، وإلى الكنزة الصوفية السميكة التي تضخم من مظهره الرجولي. وبدا لعينيها ضخما قويا لا يقهر. فتح عينيه، لترى في اعماقهما من القلق ما جعل غضبها يتلاشى. وقالت بلطف «سنجدها يا جيمس.» تقدمت تقف أمامه وتحدق في وجهه بهدوء وهي تستطرد «ان كاترين فتاة عاقلة ولن تقوم بأي عمل أحمق.»

قال «احقا هذا؟» وبدا للحظة وكأنه يلتمس الاطمئنان لهذا. وما لبث ان استقام فجأة في وقفته وهو يدفع بشعره الى الخلف نافد صبر. وهو يقول «ارجو المعذرة إذا انا لم أجد في رأيك هذا ما يطمئنني. ومن معرفتي بك حتى الآن عرفت ان حكمك على الاشياء لا يعتد به.»

آذاها تهكمه، ولكن السنين قد علمت سارة كيف تسيطر على مشاعرها الحقيقية. وبادلته نظراته بهدوء لا يكشف عما أحدثته كلماته في نفسها من ألم. وقالت «ربما الأمر كما تقول. ولكنني استطيع القول انني أعلم

عن نوعية تفكيركاترين مؤخرا. اكثر مما تعلم انت.»
قال «احقا؟ إذن اخبريني بالضبط لماذا لم تكتشفي ما كان يدور تحت أنفك في الفندق؟» ابتسم ساخرا وهو يتابع قائلا: «لو كنت مكانك يا آنسة مارشال، لتساءلت عما إذا كنت أصلح حقا لتحمل مسؤولية الاولاد. وأنا أشك في انك تملكين فكرة عما يجول في بالهم. لهذا لا تغتري بنفسك إذ تظنين ان كاترين شأنها مختلف. إنني على كل حال، لا يهمني محاولتك الترفيه عني. وكل ما اريد معرفته هو كم سيأخذ إصلاح السيارة من الوقت. وأظنك اتفقت معهم بهذا الشأن.»
قالت «بالطبع.» ما كان لبشيرها ان تحتمل تعنيفه هذا الناتج عن الغضب والخوف على ابنته. فقد كانت تعرف رأيه فيه إذ لم يكن ليحتفظ بهذا سرا عنها. ولكن كل كلمة قاسية كانت تسبب طعنة في قلبها. لماذا؟ لماذا هي تشعر بالألم إذ تفكر في أنه يكرهها بهذا الشكل؟
قال «إذا، هل لك ان تخبريني بما حدث. إذا لم يكن في ذلك إزعاج لك؟»
تنفست بعمق. تاركة جواب تساؤلها ذاك الذي يتردد في ذهنها، يكتنفه الغموض بعد ان شملها شعور غريب بالارتياح. وقالت: «إنهم سيذهبون لإحضار السيارة باقرب وقت ممكن. وسيرون مقدار العمل فيها. ومن ثم، يتم إصلاحها حوالي العصر. ولا يمكنهم الاسراع أكثر من ذلك.»
شد جيمس بقبضته على راحته وهو يشتم قائلا وقد بان

عليه نفاد الصبر: «هذا يؤخرنا كثيرا. لا أظنك حاولت ان تسأليهم عما إذا كان في إمكاننا ان نستأجر سيارة منهم؟»
قالت: «انك مخطئ في هذا. لأنني سألتهم فعلا.. ولكن من المؤسف ان القرية أصغر من ان يتيسر فيها تأجير السيارات. ويبدو اننا سنبقى هنا الى حين إصلاح السيارة.»
قال: «هذا ما يبدو.» ابتعد عن الجدار يتأمل في انحاء الساحة وهو يقول: «يبدو ان غباءك ما زال يسبب لنا المشاكل. أليس كذلك؟»
تجمعت الدموع في عينيها. وأشاحت بوجهها كي لا يراها. وهي تقول: «أظن ان قولي بأنني آسفة، لن يجدي شيئا.»
قال: «طبعا لا. انه لن ينتج شيئا. دعينا فقط نرجو وندعو ان ينتهي إصلاح السيارة عند العصر كما قالوا. ليمكننا على الأقل ان ننتهي من هذه المهمة هذا المساء.»
رمقها بنظرة قاسية وهو يشيح بوجهه عنها. ولم تكن رؤيته لدموعها التي تبلل أهدابها لتخفف من نقمته. هذا إذا لم تكن قد زادت من غضبه. وقال: «صدقيني يا سارة، سيكون من دواعي سروري عندما تنتهي هذه القضية. أن نتمكن، أنا وأنت، من ان يذهب كل منا في طريقه.»
ماذا كان يمكنها ان تقول؟ هل تقول انها تخاف من اللحظة التي سيفترقان فيها؟ لو انها قالت له هذا ربما

كان سيضحك عليها ليتهمها بعد ذلك، بأسوأ مما سبق واتهمها به من قبل.

كان الشعور بالكرامة هو ما جعلها تتمالك نفسها. الكرامة والعزم على ألا تسمح له بأن يعرف شعورها ذاك. قالت: «ان شعوري لا يختلف عن شعورك. إذ من الواضح أن ليس ثمة اهتمامات مشتركة تجمع بيننا.»

قال: «كلا!» ورد. ليس الأمر تماما كما تقولين.» ونظر الى وجهها ضويلا بطريقة جعلتها تعلم انه يريد معاقبتها..

لم تستطع ان تمنع رجفة سرت في أوصالها. وفجأة استدارت عائدة تعبر الساحة لا تكاد تشعر بما تفعل او الى أين تذهب.. كل ما كانت تعرفه انها كانت تريد ان تبتعد عن جيمس قبل ان ترتكب حماقة كبرى وتدعه يعرف الى أي مدى تشعر بالشوق الى ان يحتضنها مرة اخرى.

تالقت الشمس بين اوراق الاشجار ملقية ظلالا مرقطة على الارض الغبراء. واستندت سارة بظهرها الى الكرسي وهي ترتشف قهوتها الباردة. وترقب جيمس الذي كان منحنيا ليأخذ دوره في لعبة الكرة البطيئة. وتصاعد الهتاف والتصفيق عندما نجح في نيل «على علامة للفوز. دار برأسه يبتسم لبقية الرجال ثم بهز أيدي البعض منهم. ثم عاد ليجلس الى الطاولة مستقرا على كرسيه. وقد بدا عليه الاسترخاء بشكل لم تره سارة عليه من قبل.

قالت: «فهمت من ذلك انك الفائز.» ورشفت القهوة قبل ان تضع الكوب على الطاولة.

اومأ برأسه وهو يأخذ كوبه ويرشف منه قبل ان يعيده الى الطاولة. وقال: «لم يكن لي حظ في البداية بين اولئك الرجال المتمرسين. ولكن ضربة الحظ جاءت في النهاية.»

ألقت سارة نظرة الى الساحة حيث كان الرجال يجمعون الكرات ثم يضعونها على الطاولة مرة أخرى، ويستمتعون بتناول القهوة والحديث. قالت: «لا أظن ذلك. فقد كرموك بأن دعوك للانضمام إليهم في المركز الأول. مع ان الفرنسيين لا يالفون الغرباء عادة.» ثم حولت نظرها الى كرسيه الخشبي المستقيم وتابعت: «يبدو انك ماهر في التصرف وكأنك في منزلك. أليس كذلك؟»

اجاب: «هذا يعود الى قضائي سنوات كثيرة في الاسفار.» ربما شعرت باهتمامها به. إذ ابتسم ووضع كوبه ثم اخذ يتمطى.

حملت نفسها على التركيز على المحادثة لتمنع ذهنها من التفكير في اشياء قد لا تحصل. وقالت: «لقد قلت انك تسافر كثيرا ولكنني لا اعرف السبب بعد. لقد اخبرتني كاترين انك مهندس وقد رأيت بنفسي نموذجا من عملك. وكان جيدا.» واحمر وجهها فجأة وهي تبدو كأنها كانت تهتم بدراسة اعماله أكثر من اللازم.

لم يبدو انه حمل كلامها المعنى الذي خافت ان يظنه. إذ قال: «هذا صحيح. ولكنني في السنوات الاخيرة، عملت لوكالة شركة وراء البحار لتطوير، مقدما نصائح عن بناء البيوت القليلة التكلفة.» هز كتفيه وهو ينظر الى

الساحة. وشعرت بأنه بعيد عنها اميالا، وهو يتابع قائلا: «لقد كان عملا مزعجا احيانا عندما يكون الفخر محدقا بالمرء في بعض البلدان. لقد كنت محظوظ في عملي وانتجت الكثير من المال مما أمكنني من القيام بالمشاريع التي توكل إلي.»

قالت: «وهل ستستمر في ذلك عندما تعثر على كاترين؟»

قال: «كلا. لقد سبق وفكرت في أنني عملت ما فيه الكفاية وقد حان الوقت ليتسلم غيري العمل. لا تفهميني خطأ. فقد نلت من الخبرة بقدر ما بذلت من جهد. ولكن، علي ان انتقل بحياتي الى فترة اخرى. هذا ما صممت عليه الآن. ان انتقل الى طور آخر وافكر في المستقبل.»

كانا يتبادلان احاديث عادية متكلفة، يمضيان بذلك الوقت الى ان ينتهي إصلاح السيارة. وفجأة، شعرت سارة بالحزن يغمر نفسها وهي تشعر بأنها لن تكون جزءا من ذلك المستقبل الذي يتحدث عنه. وهزها هذا الشعور فاستقامت واقفة بسرعة جعلتها تصطدم بالطاولة مما جعل كوب القهوة يتقلب على صحنه وهي تقول متلعثمة: «إنني... إنني سأذهب للاستعلام عما إذا كانت السيارة جاهزة.»

وتحركت لتبتعد عندما شعرت بأصابعه تقبض على معصمها. علا نبضها تحت اصابعه وعرفت أنه شعر بذلك. ولكن ذلك كان خارجا عن إرادتها.

قال: «هل تهربين يا سارة؟ لا بد ان الحديث عن المستقبل قد ضايقك.»

اطلقت ضحكة صغيرة جافة ساعدت في كشف شعورها بدلا من ان تكتمه. وقالت: «كلا بالطبع. إنني فقط فكرت في استطلاع أمر السيارة. هل هذه مشكلة؟»

قال: «كلا. المشكلة الحقيقية هي مشكلتك انت. وهي انك لا تودين مواجهة نوع المستقبل الذي ينتظرك.»

قالت: «لا اتذكر انني ناقشت معك خطط مستقبلي يا جيمس. ما كنا نتحدث عنه كان مستقبلك انت. أليس كذلك؟»

قال: «نعم هذا صحيح. ولكن، أليس علينا نحن الاثنين ان نتابع طريقنا عند الانتهاء. من هذه المشكلة؟» ترك معصمها وهو يتابع: «بطبيعة الحال، سأنقل كاترين من مدرستك بعد الذي حدث. وهكذا إذا افترقنا يا سارة فقد لا نعود الى الاجتماع مرة اخرى.»

قالت وهي تستدير مبتعدة: «حسنا. اني ارى ذلك اليوم بطيئا جدا في القدوم.» كانت تريد ان تعتقد ان هذه هي الحقيقة. ولكنها في اعماق نفسها كانت تشعر انها تكذب.

www.rewity.com KAKAHEENA

الفصل التاسع

«ماذا تعنين ان السيارة لن تكون جاهزة اليوم؟ تبا على ذلك يا سارة. اننا في حاجة الى تلك السيارة الآن وليس غدا.»
كانت الثورة تتفجر في كلمات جيمس. تنهدت سارة وهي تتمنى لو لم تكن هي التي نقلت إليه هذا الخبر السيء.
قالت: «اعرف ذلك. ولكنهم وجدوا انهم في حاجة الى قطعة غيار كان عليهم ان يرسلوا من يشتريها من مدينة لاشون.»
قال: «اني لا اصدق ذلك. إنني حقا لا اعتقد ان هذا قد حدث.» ابتعد عنها عدة خطوات وقد بدا التوتر في كل جزء من جسمه. ثم استدار يقول: «لماذا لا يوصلونا الى لاشون؟ بهذا يمكننا استئجار سيارة نتابع بها رحلتنا.»
كانت هذه فكرة صائبة تمنت سارة، باخلاص لو كانت قد فكرت فيها من قبل. هزت رأسها وهي تتجنب نظراته الحادة، منتظرة ان ينهال سخطه عليها كالعادة. وقالت: «ان ذلك الرجل قد ذهب وفات الاوان لنذهب معه.» أبدى مقدرة فائقة في تمالك اعصابه. ليستدير مبتعدا عائدا عبر الساحة. تاركا إياها تجر نفسها خلفه شاعرة بالتعاسة. لقد كان الجو متوترا بينهما ضيقا بعد الظهر، وهو الآن ينحدر نحو الاسوأ. كان واضحا ان جيمس لا يريد ان يمضي أي وقت آخر بصحبتها أكثر من الوقت الذي أرغم عليه. وقد بدا الآن هذا أكثر مما كان متوقعا.

توقف خارج المقهى الذي تناولا فيه طعام الغداء. ثم استدار يحدق في انحاء الساحة الهادئة التي يتفرع منها عدة شوارع. وقال: «اظن ان علينا تمضية الليلة هنا. فهل لديك فكرة عن نزل يمكننا تمضية الليلة فيه؟»
هزت سارة رأسها وأخر خيوط الشمس ترسل شعاعها الذهبي على شعرها البني الفاتح. وقالت: «كلا. ولكنني سأدخل الى المقهى وأسأل.»
قال: «نعم. افعلي ذلك وفي هذه الاثناء إسألي ان كان يوجد هاتف يمكنني استعماله. فقد أجد شركة يمكنها ان ترسل لي سيارة. تبا.. ليس في امكاني ان احتمل شيئا اسوأ مما حصل الآن.»
لم تستطع ان تفعل شيئا اكثر من الاعتذار مرة اخرى. وفي الواقع، لقد قدمت من الاعتذارات مؤخرا ما فيه الكفاية! واسرعت الى الداخل دون كلمة اخرى. غاص قلبها بين ضلوعها عندما اخبرتها صاحبة المقهى انه ليس فقط لا يوجد نزل في القرية بل ان العاصفة الاخيرة قد اتلفت خطوط الهاتف في المنطقة وما زالت معطلة. وأخذت تتصور رد الفعل عند جيمس لدى سماعه هذه الاخبار.
«حسنا؟» قال ذلك بعد ان تبعها الى الداخل يستند الى المكتب عاقدا ذراعيه فوق صدره في انتظار سماع الاخبار الجيدة. تنفست سارة بحدة ثم استعدت لتخبره بالامر عندما تابعت المرأة حديثها بلهفة. فاحمر وجهها وهزت رأسها نفيا لتقف جفلة عندما أمسك جيمس

بذراعيها قائلا: «ما الذي قالته؟ هل فهمت شيئا عن غرفة موجودة عندها؟»

هزت رأسها نفيا وهي تحول نظراتها عن عينيه، قائلة: «كلا..»

قال مبتسما: «لماذا تملكني شعور بأنك تكذبين يا حلوتي؟» والتوت شفتاه معاتبا وهو يحول انتباهه الى المرأة وراء المكتب ويقول بلهجة بطيئة كشخص لم يتعود التكلم بلغة غريبة عنه. حدقت سارة أمامها بنظرة دون ان تحاول مساعدته وهو يتعثر في اسئلة التي كان يلفظها ببطء. لا يهم ما كان يسأل عنه وما كان الجواب فقد كانت المسألة كلها مستحيلة.

«إذن فقد كنت تكذبين يا سارة؟ انك تدهشينني.» والتفت الى صاحبة المقهى بابتسامة ساحرة وهو يمسك بذراع سارة يقودها خارجا الى الشارع.

قالت وهي تنظر إليه: «دعني أذهب.» شعرت بالكراهية السخرية البادية في وجهه المتعجرف. وهي تتابع: «نعم، لقد كذبت عليك ولكن هذا لا يغير من وضعنا. أليس كذلك؟ هناك غرفة واحدة فقط فوق المقهى. فإذا كنت تتصور أنني سأشاركك إياها فأنت مجنون!»

قال: «وما الذي تعتزمين عمله إذن؟ هل ستمضين الليل هنا؟» تصنع جيمس الارتجاف وهو ينظر الى السماء. قائلا: «تذكري البرد في الليل يا سارة. لا أظنك ستجدين الوضع مريحا ابدا. ولكن إذا كان هذا ما تريدينه فمن أكون انا لكي يحق لي الاعتراض؟»

قالت: «هل ستفعل ذلك حقا؟ أتتركني هنا في الخارج

وحدي كل الليل بينما انت مرتاح في تلك الغرفة؟»

اجاب: «وماذا تقترحين غير ذلك؟ هل يتوجب علي أن اترك لك الغرفة كلها وأمضي انا الليل هنا بدلا منك؟» وهز رأسه بسخرية متابعا: «استيقظي يا سارة. اننا في التسعينات من هذا القرن. وهو زمن المساواة بين الجنسين. انني لا اشعر بأي ضرورة لعمل ما لا يرضيك فيما لو اخترت مشاركتي الغرفة. لقد امضينا الليلة الماضية معا في السيارة. فلماذا تكون هذه الليلة مختلفة عنها؟»

تساءلت بسخرية. حقا لماذا؟ مع ان المشاركة في غرفة واحدة، هي أكثر استجلابا للمودة من الاضطرار الى الجلوس في السيارة... فقد حدث بينهما في السيارة ما حدث. فكيف بهما في غرفة واحدة؟

استدارت سارة مبتعدة متجاهلة تلويح جيمس الساخر لها بيده وهو يعود داخلا المقهى. سارت في الشارع الهادئ، حتى وصلت الى الغابة التي تنتهي عندها القرية. كانت الرياح قد ابتدأت تهب مرة اخرى كما سبق وحدث في الليلة الماضية ناشرة البرودة في الجو. ولفت ذراعيها حولها وهي تقف مراقبة الأشجار التي كانت تتمايل مع الرياح. ثم استدارت تنظر نحو المقهى. متسائلة عما يمكنها ان تفعل لتمضي هذه الليلة. بصراحة كان التفكير بقضائها الليلة في الخارج فكرة تدعو الى الخوف. ولكن ما هو البديل لذلك؟ الموافقة على مشاركة الغرفة مع جيمس؟ ولا سبيل بديل عن ذلك.

كانت الغرفة هادئة ومظلمة إلا من نور خافت ينبعث من مصباح صغير مظلل. استلقت سارة على السرير تحدق في السقف بعينين جاحظتين. وهي تسمع صوت هطول المطر في الخارج. وكان تساقط قطرات الماء على زجاج النافذة يخترق الصمت. كانت تشعر بالراحة والدفء ولكنها لم تستطع النوم. ولم يكن لأرقها هذا أي صلة بالخوف من عودة الكوابيس. هذه المرة كان الامر يتعلق بجيمس.

نفضت عنها الاغطية وتوجهت نحو النافذة تمسح براحتها الضباب الذي احدثته حرارة انفاسها على زجاجها. لم يكن ثمة ما يستحق الرؤية من النافذة عدا عن عدة مصابيح متفرقة في الساحة. ولكن نظراتها لم تكن تنصب عليها وانما على شيء أقرب. على سيجارة مشتعلة بدخنها شخص كان يجلس الى إحدى الطاولات.

امتلأت بالغضب والشعور بالذنب معاً. تنهدت وهي تعود لتضع على جسمها معطفها المنزلي. كان يجب ان تدرك ان رجلا مستهترا لا بد كان يضمر شيئا عندما قبل فجأة ان تنفرد هي بالغرفة. لقد عرفت غايته تماما. ولكنها لا تدري كيف سمحت له بأن يجعلها تطمئن إليه بعد عشاء طيب وكوبين من الشراب المحلى القوي لقد شكرته لشهامته في تقديم الغرفة لها. حسنا لقد كانت شهامة سيئة إذ انه كان يعلم انها لا بد ان يخضعه الشعور القوي بالذنب. تبا لهذا الرجل الماكر!

تركت الغرفة لتنزل الدرج بهدوء. وتصنمت عندما رن الجرس فجأة وهي تسحب مزلاج الباب ليعكر السكون حولها. ونظرت من فوق كتفها لتطمئن الى عدم إزعاجها احدا. ثم اندفعت تحت المطر وهي ترتجف إذ سارت في شبه بحيرة من الماء عند أسفل الدرج.

ابتسم لها جيمس وهو يقول: «هممم.. لقد أخذ الأمر منك وقتا اطول مما توقعت يا حلوتي.» كان مستندا الى الخلف في كرسيه وقد التصق شعره الأسود برأسه وبلل المطر قميصه ليلتصق بجسده مبرزا تفاصيله.

تلاشى غضب سارة لتقول: «لو لم أكن خائفة من ان تأتي السيدة سانت كلير لإدخالك، لكنت سعيدة بأن اتركك هنا طيلة الليل. إنني فقط لم اشأ ان اسبب لها أي مضايقات اخرى بعد تلصفها بتقديم الغرفة لنا.»

قال: «كان يجب ان ادرك ذلك بالطبع. وسأعتبر انني تلقيت العقاب المناسب على تصوري اشياء اخرى. والآن هل ندخل؟» مشى الى الباب يمسكه لكي تتقدمه في الدخول وقد بدت عليه السخرية، جاعلا سارة تفكر بحسرة في مدى رقة قلبها.

نظرت إليه وهو يدخل قائلة: «لقد كنت تعلم ان قلبي لن يسمح لي بإبقائك في الخارج طيلة الليل. أليس كذلك؟ ولهذا قدمت إلي الغرفة.»

هز كتفيه بخفة وهو يغلق الباب خلفه قائلا: «دعينا نفترض انها كانت مجازفة محسوبة.» ابتسم فجأة وقد ضحكت عيناه وهو يستطرد: «انني مسرور لانتهاء

ذلك. لو مضت عدة دقائق اخرى علي في الخارج، لكنت حملت نفسي على الاستسلام ووضعتها تحت رحمتك. انني شبه متجمد من البرد.» مرر أصابعه على وجنتها يشعرها بمقدار ما يشعر به من البرد.

ارتجفت سارة وارتدّت الى الخلف وقد كرهت الطريقة التي أخذ فيها قلبها يدق بجنون لأول لمسة من يده قالت «ليس عليك ان تلوم سوى نفسك لأنك انت الذي قدمت العرض ولم أطلب انا ذلك منك.»

قال «ضبعا إنني اعرف جيدا انك ما كنت لتخضعي دون ان تقومي بكل انواع المضايقات. فلاحت لي هذه الطريقة وهي الأسهل لتجنب كل ذلك. ربما كان ما سأقوله لك ياسارة، نظرية رجعية. ولكن في رأيي ان امرأة تحتاج الى حماية ولا يمكن ان اتركك وحدك في الخارج.»

استدار مبتعدا بعد ذلك التصريح المنعجرف، وصعد الدرج. تبعته سارة ببطء وهي تتساءل لماذا انتابها ذلك الشعور بالذنب؟ لقد كان جيمس هو الذي نصب لها هذا الفخ. ومع ذلك فقد شعرت بأنها كانت على خطأ حين اقترحت عليه ان يتركها هي في الخارج.

دخلت غرفة النوم لتقف كالمثلجة وقد هرب الدم من وجهها وهي تراه واقفا الى جانب السرير المزدوج القديم الطراز، وبنظرة سريعة، شملت بنظرها من شعره الاسود الى قدميه قبل ان تستدير مبتعدة وهي تتمتم معتذرة.

نظر إليها طويلا ثم تقدم قائلا «لقد وعدتك يا سارة، ان لا ارغمك على شيء لا تريدينه وسأحفظ وعدي هذا.»

قالت بمرارة مفاجئة «الرجال يأخذون دوما. تلك هي طبيعتهم.»

اومأ برأسه قائلا «هذا ليس صحيحا. لا تحكمي على كل الرجال من خلال خبرة سيئة مع واحد منهم. لا بد ان صدمة عنيفة قد اصابتك في الماضي غيرت من نظرتك الى الرجال جميعا. انني لا أدري من هو وكيف حدث ذلك. ولكنني انبهت الى انك إذا بقيت تنظرين الى الحياة بمثل هذه المنظار الأسود، فهذا معناه ان غريمك ذاك قد انتصر نهائيا.»

لم يكن قد طرق مثل هذا الموضوع من قبل. شعرت وكأن غشاوة قد انزاحت عن عينيها. لقد اعاقها الماضي زمنا طويلا. امضت حياتها خائفة. انها لن تستطيع ابدا تغيير الماضي. ولكن عليها ان تضعه وراء ظهرها.

تابع قائلا «خذي واعطي يا سارة. هذا ما ينبغي ان يكون للحصول على السعادة.»

www.rewity.com ARABAHEEN

الفصل العاشر

كانت البرودة منعشة بين الأشجار وقد عبق جو الصباح بالشذا المنبعث من أشجار الصنوبر.

اسندت سارة رأسها الى جذع شجرة صنوبر سامقة وهي تحفر في التراب الرطب بأظافرها. هل ما زال جيمس نائما؟ او استيقظ وهو يبحث عنها الآن؟ واستغرقها التفكير في ما حدث بينهما الليلة الماضية. متصورة الاجتماع المقبل بينهما وما يمكن ان يقوله الواحد منهما للآخر على ضوء البهجة التي اصبحت تشملهما معا. وذلك على ضوء النهار.

انها لم تندم على ما حدث بينهما. وهذا ما أدهشها. وفكرت في هذا لحظة. ثم ما لبثت ان انفجرت ضاحكة بصوت عال وقد شعرت بالحرية لأول مرة منذ سنوات. لقد منحت نفسها الى جيمس وبذلك حطمت كل القيود التي كانت تعيقها. والآن ها هي ذي حياتها تنبسط أمامها لا تعترضها أي مشاكل عاطفية. لقد اصبحت حرة... حرة تفعل ما تشاء، وتذهب الى أي مكان تريد. حرة في ان تحب جيمس مالك ليستر من كل قلبها. حرة حتى في ان تعود إليه وتخبره بذلك.

وقفت على قدميها وهي تمسح التراب العالق في يديها. و توقفت حين سمعت شخصا قادما نحوها. هل كانت الحاسة السادسة هي التي اخبرتها مسبقا عمن يكون؟

أم انها قوة الحب التي كانت أكبر مما تصورت؟ ابتسمت لتخيلاتها الحمقاء. وكست البهجة وجهها وهي تقف في انتظاره.

قال: «انت هنا إذن؟ لقد حزمت امتعتنا. وإذا كنت تريدين ان تكلي شيئا، فهيا.» واستدار عائدا تاركا سارة محدقة في أثره وقد انتابتها صدمة. انها لم تتوقع منه كلمات شاعرية عندما يتلاقيان. لكنها لم تكن تتصور كل هذه الجفاء. ركضت خلفه وقالت: «جيمس... ما هذا؟ لماذا تتصرف بهذا الشكل بعد أن... بعد الليلة الماضية؟» كانت وجنتاها متضرجتين. ولكنها رفضت ان تصدق انه يمكن ان يتصرف بهذا الشكل دون سبب.

قال: «الليلة الماضية كانت الليلة الماضية. أما الآن فكل ما اريده هو ان اجد ابنتي. هل فهمت؟»

قالت: «كلا. انني لا افهم لماذا تتصرف هكذا. ألم تعن الليلة الماضية أي شيء لك؟ ابدا؟»

هزت ذراعه غارزة اظافرها خلال قميصه القطني الذي كان يرتديه دون ان تعي ذلك. وقد احرقها الخوف وهي تنظر في وجهه الذي بدا ملامحه جامدة كحجر الصوان.

قال: «طبعا كان ذلك. وقد استمتعت كثيراً وأشكرك على ذلك يا سارة. كان اغفالا مني ان لم اشكرك قبل الآن.» شحب وجهها وهي تلمس السخرية الباردة في صوته. ولكنها بقيت حيث هي تستمد القوة من اليأس.

قالت: «انني لا اريد شكرا. ما الذي تقوله يا جيمس؟

هل ان ما حصل في الأمس لا يعني لديك سوى لحظات عابرة؟ انني لا اصدقك.»

قال: «ما تصدقينه انما هو راجع لك يا حلوتي. ولكن نصيحتي إليك هي ان لا تتمعني كثيرا في الاشياء يا سارة. فهو ليس بالحدث الذي يهز الأرض وذلك على الرغم من الكلام الفارغ الذي تقرأينه في الروايات العاطفية.

قالت: «هل هذا كل ما يعني بالنسبة إليك؟ مجرد علاقة قصيرة مسرة؟» كان من الصعب عليها ان تخفي الالم الذي كان يمزق قلبها.

ولكنها لم تكن بحاجة للاهتمام بذلك إذ انه رمقها بنظرة ضجرة وهو يقول: «ماذا غير ذلك؟ إذا كنت تفكرين بمعاتبتي الآن لأنك تشعرين بالذنب. فلا تنسي. إذن انني لم ارغمك على شيء لا تريدينه. كوني ناضجة يا سارة واعتبري ان الليلة الماضية لم تكن سوى درس يزيد في تجاربك.»

«هل تعتقد ذلك حقا؟» وأطلقت ضحكة حادة تسرب صداها خلال الاشجار.

قال: «طبعا. إلا إذا كان عندك سبب آخر تعترفين لي به.» ونظر في ساعة يده وقد بدا نفاد الصبر في عينيه.

قالت: «لا ادري ماذا تقصد؟»

قال: «كلا؟ لقد خطر لي آنفا ان ملاطفتك لي ما هي إلا رشوة تقدمينها لي لكي لا أنفذ تهديدي لك بالنسبة الى وضيفتك.»

قالت: «كلا.. لم يكن الأمر كذلك قط. لقد كان السبب هو... هو.... ما الذي تستطيع قوله؟ كيف تقول له انها تحبه في الوقت الذي كان هذا آخر ما يرغب في سماعه؟

ابتسم ببرود، وقد خلت عيناه من اي اثر للدفء: «هل رأيت انك تجدين صعوبة في الإجابة عن هذا؟ اظن ان من الافضل ان نترك المناقشة في هذا الى ما بعد. فنحن إنما نضيع الوقت ليس إلا.»

استدار عائدا تاركا سارة وقد تجمعت الدموع في عينيها. لقد كانت الليلة الماضية رائعة ولكنها لم تعن شيئا بالنسبة الى جيمس. لشد ما كانت حمقاء غبية إذ تصورت أي شيء آخر.

تبعته شبه يائسة وهي تمسح الدموع التي كانت تغسل وجنتيها قبل ان تصل الى الشارع. والآن، وقد تحطمت كل آمالها. لم يبق لها سوى الكرامة تتعلق بها في الساعات القارعة الى حين تفترق عن جيمس نهائيا. واستنفد الوصول الى المقهى حيث كان يقف. كل قواها... ولكنها تمالكت نفسها رافضة ان تدعه يلحظ مقدار الالم الذي تعانيه.

قال: «حسنا. سأدخل انا المقهى وأسدد الحساب بينما تذهبين انت الى المرآب لمعرفة ما إذا كانت السيارة جاهزة. ولا تسمحي لهم بأن يتملصوا من وعدهم يا سارة. افهميهم بأننا نريدها الآن دون أي تأخير.»

كان صوته قاسيا. ابتسمت بمرارة وهي ترفع عينيها إليه قائلة: «لا تقلق يا جيمس. إنني اشعر بنفس اللهفة التي تشعر بها أنت الى الرحيل!»

ومض شيء في عينيه.. لكنه سرعان ما تلاشى قبل ان تجد الوقت لتفكر في السبب لذلك. وقال: «حسنا. كلما

اسرعنا في العثور على كاترين، كان ذلك أجدى بأن ننتهي من هذه المشاكل.»

فكرت سارة وقد اعتصر قلبها الحزن، بأنها إحدى هذه المشاكل التي سيتخلص منها. ولكنها لم تقل شيئا. وما الفائدة من ذلك؟ لقد أوضح وجهة نظره تماما هذا الصباح مما جعلها لا تشك في شعوره.

• • •

اخذت سارة تنظر من نافذة السيارة، الى المناظر الريفية التي كانت تمر بها، دون ان تلاحظ جمالها. كانت تشعر بالالم والحزن يجمدان جسدها حتى لم تعد تجد اهتماما بأي شيء في العالم. لم يتكلم جيمس كثيرا منذ قاما بإحضار السيارة. وقد بدا عليه الاهتمام في انجاز اخر مراحل القضية التي جاء من أجلها، ولم تحاول من ناحيتها، ان تجره الى الحديث. لم يبق لدى الواحد منهما ما يقوله للآخر. لم يبق سوى ذكريات الليلة الماضية. ولم تكن تريد ان تتذكر ذلك الآن.

قال «اظن اننا إذا ذهبنا الى لاشون رأسا، فسيكون ذلك افضل من اتباع الخارطة. فلقد ضيعنا كثيرا من الوقت بحيث اصبح ذلك غير مهم.»

قالت بصوت خفيض لا يفصح عما تعاني «مهما كان الذي تظن، فهو الافضل.»

رمقها بنظرة جانبية شبه ضجرة، ثم عاد بانتباهه الى الطريق ليتفادى شاحنة كانت قادمة. وقال «يبدو ان ذلك هو الافضل. الا تظنين ذلك؟»

قالت «طبعا.» لم تكن تريد ان تتحدث معه. لم تكن تريد ان تستمر في سماع ذلك الصوت الذي بقي الليلة الماضية، يتردد في مسامعها الى ان دفعها الارهاق الى الاستغراق في النوم.

قال «اسمعي يا سارة، إذا كنت ما زلت متوترة مما حدث الليلة الماضية...»

قالت «انني لا اريد التحدث في هذا الموضوع. افهمت؟ انني اريد ان انسى كل ما حدث، ان أنسى كم كنت حمقاء مجنونة.»

استدارت تنظر من النافذة بينما كانا يدخلان المدينة وهي تحاول حبس دموعها. ورأت صورتها في زجاج النافذة المغبر فابتسمت بمرارة ساخرة مما رأت. كانت قد تركت شعرها مسترسلا على كتفيها هذا الصباح لكي يراها جيمس، حين يستيقظ من النوم، بأجمل مظهر. ونفس السبب جعلها ترتدي بدلة تبرز جمال انوثتها. يا للسخرية في أن يكون هذا اليوم هو الوحيد الذي اختارت فيه ان تبدو على أقصى ما تكون من الجاذبية. لم يعد يهمه الآن أي شيء ترتديه ما دام قد ابتدأ ينفيها من ذهنه نهائيا.

جاءها صوته فجأة «هذا حسن بالنسبة إلي.» أدهشها الغضب الذي بدا في صوته واستدارت تنظر إليه، متأملة فمه الصارم وحاجبيه المقطبين. ما الذي جعله غاضبا بهذا الشكل بينما هي الضحية الحمقاء؟

قالت «ماذا جرى يا جيمس؟ هل ازعجك ان... أوه!» لقد شهقت حين توقف فجأة وهو يميل بالسيارة. وأغمضت

عينيها وقد توقف قلبها عن الخفقان، لتفتحهما مرة اخرى في الوقت الذي كان يدفع فيه الباب ليفتحه. هتفت «ما هذا يا جيمس؟»

«كاترين» بالاسم من بين شفتيه التين كان الغضب قد قلصهما.. وقد نظر الى حيث كانت سارة تجلس مصعوقة. وهو يهتف «الم تريها واقفة هناك تشير بايهامها تطلب من بنقلها بسيارته؟ لا ادري ماذا حصل. و لكن إذا كان ذلك الشخص قد سبب لها أي أذى...» وقطع تهديده وهو يوسع الخطى راجعا في الطريق.

فكت سارة حزام الامان ببطء، وأخذت ساقاها ترتجفان وهي تترجل من السيارة لتتطلع الى شخصين واقفين الى جانب الطريق. لقد أقبلت النهاية هكذا فجأة بحيث لم تستطع ان تفقه ما يجري. ولكن، عندما عاد جيمس يقود ابنته الى السيارة، عندها فقط، استطاعت ان تتمالك نفسها، لتبتسم في وجه كاترين المصعوقة الملامح، ابتسامة باهتة.

شهقت الفتاة وهي تقول «الانسة مارشال! ماذا تفعلين هنا؟ هل احضرت أبي معك؟»

اجابت «لقد فعل ذلك حقا. ولكن هذا غير مهم الآن. المهم هو انت بخير.»

اومأت الفتاة برأسها وقد بدا التعب والجهد في عينيها وهي تقول «نعم. فقط انني سببت لكم جميعا الكثير من المشاكل.»

قال جيمس «لقد فعلت ذلك حقا. وعندما نجلس معا حيث نستطيع ان نتحدث، فإنني اريد منك ان تحدثيني

بكل شيء يا كاترين.. هل فهمت؟ اريد ان تحدثيني بكل التفاصيل.» وحدق في ابنته متجاهلا نظرة التوسل التي رمقته بها، واستمر يقول «انني لا اصدق ان ابنة لي يمكن ان تكون من الحماقة بحيث تقوم بمثل هذا التصرف الشائن.» وانهمرت الدموع على وجنتي الفتاة. وبدافع غريزي خطت سارة الى الامام لتحيط كتفي الفتاة بذراعيها بحنان، قائلة وهي تنظر الى جيمس «الا تظن ان هذا النوع من الكلام يمكن ان ينتظر الى ما بعد؟ ان هذا ليس وقت تعنيف كاترين في الوقت الذي لا نعرف فيه شيئا عن الظروف.»

تحول بنظره إليها بعينين باردتين وهو يقول «أكون شاكرا لو بقيت خارج كل هذا. ان الطريقة التي اتحدث بها الى كاترين هي شأني الخاص، وبصراحة، يا سارة لو كنت مكانك لاهتميت كثيرا بما أقوله الآن.»

تملكها غضب عارم لترد عليه قائلة «وأكون شاكرة لك لو احتفظت بنصائحك لنفسك. انني امرأة ناضجة ويحق لي التعبير عن آرائي في أي وقت وبأي طريقة اختارها. انني ارفض الوقوف جانبا بينما انت تسيء الى كاترين في الوقت الذي يبدو عليها بجلاء الوقوع تحت ضغط نفسي بالغ.»

قال وهو يلقي نظرة ساخرة على جسدها المتوتر تحت قميصها الازرق المرقط «انني أسلم معك بأنك ناضجة جسديا تماما، يا سارة. ولكن عقليا؟» هز رأسه وهو يقف بقامته الطويلة متعجرفا يوالي ضغناته أعمق فأعمق في قلبها المكسور وهو يتابع «ما زال أمامك

شوط طويل لكي تتعلمي ما معنى ان تكوني امرأة..
اهتزت من شدة الغضب وهي تقول:«كيف تجرؤ... كيف تجرؤ على هذا الكلام بعد الليلة الماضية!» واخذت تفرك يديها غضبا وتفردهما بجانبيها. ودّت لو تصيح وتصرخ.. ان تضربه ليسترد كلمات التعبير تلك. ولكنه كان اقوى منها. لقد كانت تحبه. ولكنه. لم يكن ليعبأ بها. وحين تتصارع إرادتهما فقد كان هو الرابح دوما وهي الخاسرة.
وقفت كاترين بينهما وهي ترتجف وقد شحب وجهها:«كفى... كفى. لا استطيع ان اسمع جدالا اكثر من ذلك... لا استطيع' يكفي ما حدث عندما وصلنا الى بيت فيليب. لقد ثارت أمه عليه. لقد رفضت ان تدعني أبقى في البيت. لقد طلبت منه ان يتخلص مني بأسرع ما يستطيع وإلا فلن تتكلم معه إطلاقا بعد ذلك..»
ضحكت بمرارة وقد تدفقت الدموع على وجهها وهي تتابع:«ولم يأخذ الأمر وقتا طويلا لكي يوافق. أظنه كان قد ابتدأ يراجع نفسه منوال الطريق وذلك من الطريقة التي كنا نتجادل فيها. ولكنني لا استطيع ان احتمل رؤيتكما تتجادلان انتما معا..»
قال جيمس:«لا تهتمي فلن يكون هناك جدال آخر يزعجك. لقد قلنا انا والآنسة مارشال. كل ما يمكن ان يقال.» لقد كان تمالك جيمس لنفسه غريبا. عرفت منه سارة مبلغ السهولة التي أزاحها فيها من ذهنه. رمقتها بنظرة باردة عابرة وكأنها غريبة عنه تماما. ولحظة واحدة، استقرت انظارها على وجهه وقد بان في أعماق

عينيها الشوق. لو كان قد وجد وقتا ينظر إليها. ولكنه لم يفعل. لم يهتم مقدار ذرة بها او بشعورها او بالحب الذي تكنّه له. لقد قال لها الليلة الماضية خذي وأعطي حسنا. لقد أعطته كل شيء، حتى قلبها. وقد أخذ هو منها كل شيء ليلقي به بعيدا.
قال وهو يخاطب ابنته:«انني فقط اريد ان اعلم لماذا فعلت ذلك يا كاترين. ما الذي جعلك تهربين بهذا الشكل؟ هل السبب أنني فعلت شيئا لم يعجبك، أم انني لم أفعل شيئا تريدينه؟»
قالت:«إنني... ربما. لا اعرف بالضبط.» ونقلت بصرها بيأس بين أبيها وسارة وقد بدا الاعتذار في تعبيرات وجهها. وهي تتابع:«لم أكن اقصد ان اسبب لكما الكدر يا أبي. صدقني. لا أدري ما الذي حدث لي. لقد كنت في غاية الحماقة.» وغصت بريقها:«لقد كان تماما شيئا قالته الآنسة مارشال. ظننت... ظننت... أوه يا أبي!» وألقت بنفسها بين ذراعي أبيها وهي تنشج باكية.
احتضنها وهو يربت على ظهرها مهدئا. ولكن عندما رفع عينيه لتلتقيا بعيني سارة من فوق رأس ابنته. لم تكن في ملامحه أي رقة وهو ينظر إليها متوعدا. لتشعر هي بأن آخر خيط من الأمل في ان تستقيم الأمور بينهما، قد انقطع.
استدارت سارة لتعود الى السيارة. وهي تشعر بالألم يسيطر عليها حتى يكاد يقطعها إربا. ليس لاقتناعها بأن جيمس قد استخدمها لإرجاع ابنته فقط. ولكن لأنه

www.rewity.com ARAYAHEEN

سيظل يلمها على الدوام لما حدث لابنته. انها ستبقى معقودة في نظره الى الأبد ومهما قالت فلن يغير فكرته عنها. وفجأة، شعرت بأنها غير متأكدة من استمرار قدرتها على المقاومة.

• • •

ترتد في انحاء الممر صدى أحاديث مختلطة سرعان ما هدأت بعد ان همست إحدى الفتيات محذرة. ووقفت سارة خارج الباب المؤدي الى الغرفة التي كانت تشترك فيها كاترين مع فتاتين اخريتين. ثم ما لبثت ان اتخذت طريقها الى غرفتها الخاصة. اغلقت الباب وأخذت تتطلع الى ما حولها. متأملة في الأثاث الذي كان مألوفا لديها. هل هي مسألة أيام فقط منذ كانت في هذه الغرفة لآخر مرة؟ كانت تعرف ذلك. ولكن تلك الليلة التي وجد جيمس فيها طريقه ليقتحم غرفتها ويقلب حياتها رأسا على عقب، كانت تلك الليلة تبدو بعيدة جدا. تنهدت بعمق وهي تدرك انها تعود الى الشيء الذي سبق وعاهدت نفسها على تركه نهائيا. الا وهو التفكير فيه. ولكن ذلك كان مستحيلا. خصوصا وقد اضطر الى ان يمضي الليلة في الفندق مع بقية فتيات المدرسة.

لقد مرت به سارة وهي خارجة من غرفة الطعام لتسمعه يعبر عن سخطه لعدم حصوله على تذكرتي سفر في الطائرة العائدة تلك الليلة. وكادت تشعر بالرغبة في الوقوف لتقول شيئا او ربما تعرض العون. ولكنه كان حتما، سيقضيها إربا. لقد بذلت جهدها كله في صعود

السلالم دون ان تتهار. كان كل ما يهمها الآن هو أنها اعتبارا من بعد غد، لن تكون مجبرة على رؤيته مرة اخرى. وكان هذا نوعا غريبا جدا من العزاء..

فتح الباب فجأة لتستدير وهي مندهشة لتحملق في الشخص الفارع القامة الذي وقف أمامها. وللحظة واحدة، تجمد العالم حولها وكأنما كان كل شيء يحبس أنفاسه انتظارا لما سيحدث. دخل ثم اغلق الباب خلفه لتقول له بلهجة حادة «اخرج».

ابتسم ببرود وهو يجتاز الغرفة ثم ألقى عليها نظرة متعجرفة وهو يقول «ليس ثمة وقت لأي سخط او شجار يا سارة، فليست هذه هي المرة الأولى التي تجمعنا معا في غرفة واحدة. فاعفيني من ذلك من فضلك».

قالت وهي تشعر بنفسها على وشك ان يفجرها التوتر لتتناثر الى شظايا «ماذا تريد؟».

قال «قد أسافر في الصباح دون ان اقول وداعا. أليس كذلك؟ وهذا ليس بحسن بعد كل الذي جرى بيننا في الأيام القليلة الماضية». اعادت كلماته اللون الى وجهها الشاحب. لقد سبب لها حديثه الذي ينضح بالازدراء، ألما هائلا. ولكنها لم تشأ ان تظهر له كم المتها كلماته تلك. قالت «إذن، فإن ليلة واحدة قد انتجت عرضا للسلوك المهذب. أليس كذلك؟ لشد ما يشعرني هذا بالزهو، يا جيمس. الزهو لتكليف نفسك بتخصيص بعض من وقتك لي. لا بد ان سلوكي كان افضل مما تصورت لأستحق هذا التكريم منك».

صعد الدم الى وجنتيه وهو يقول: «انني لم احضر الى هنا لتبادل الشتائم، يا سارة.»

قالت: «كلا؟ ولماذا جئت إذن؟» مالت برأسها وهي تشعر بالسرور لانها لم تكلف نفسها عناء تغيير ثوبها الجميل. فقد كانت في حاجة الى الشعور بالثقة التي كانت تستمدها من مظهرها الحسن. بحاجة الى ذلك في معركتها الاخيرة. وتابعت: «لا إهانات إذن؟ هذا يجعلني اتساءل عما تريده في مثل هذه الساعة المتأخرة.» والقت نظرة على ساعة يدها، ثم إليه وهي تشعر بخفقان قلبها. ما كان لها ان تستفزه بهذا الشكل. ما كان لها ان تثير غضبه. ولكن الاغراء لهذا الفعل كان اقوى من ان يمكنها مقاومته. وتابعت: «طبعا انت لم ترجع لتمضي بعض اللحظات؟»

اخذت تقيسه بانظارها بينما هو واقف يتلقى الإهانات. ثم تابعت وهي تتصنع الابتسام بابتهاج: «حسنا، شكرا لك ولكن، كلا... ان مرة واحدة هي كافية يا جيمس.» أدارت له ظهرها وهي تسير نحو الباب تفتحه لتطلب منه الخروج. ولكنها لم تخط أكثر من خطوتين او ثلاث لتجد نفسها وقد أخذها بين ذراعيه وهو يقول: «لا تديري لي ظهرك، ايتها السيدة بعد ان تقولي ذلك!»

قالت: «ولماذا؟ هل اجرح انانيتك لو حاولت الرفض؟» ودفعت رأسها الى الخلف ليتناثر شعرها على كتفيها. بينما كانت عيناها تشتعلان وهي تتابع قائلة: «أوه، لقد استمتعت بتلك الليلة الماضية، يا جيمس، إنك رجل

ماهر ومقتدر. لهذا، إذا كنت في حاجة إلى من يشبه لك بذلك فلا تتردد في الاتصال بي. ولكن، بالنسبة الى إعادة العرض، اظن انني سأجتاز الامتحان. والآن، دعني اذهب من فضلك.»

قال: «أدعك تذهبين؟ لقد كان احتجاجك في منتهى الجمال. ولكن، لماذا غلب على الشعور بأن قلبك لم يكن يشاركك ذلك، يا سارة؟» وزاد من احتضانها وهو يقول متابعا: «هل انت متأكدة من ان هذا ما تريدينه حقا؟»

قالت: «نعم، ولكنني لم ادرك تماما من قبل كم انت مخادع! هل سمعت ما قلت؟ والآن اتركني.»

قال: «ولماذا افعل ذلك عندما أكون متأكدا من انني استطيع تغيير عقلك؟» وانحنى يحاول تقبيلها.

لكنها أدارت رأسها وقد ملأها الالم لمعاملته ذلك لها. وقالت: «انني اعني ما أقول، يا جيمس، دعني اذهب الآن.»

قال: «وماذا لو انني رفضت؟ ما الذي ستفعلينه، يا انسة مارشال؟ تزيدين من احتجاجك؟» ابتسم ببرود. وهو يحدق في اللون الوردي الذي كسا وجهها.

ادركت فجأة ان ذلك اصبح اكثر من مجرد صراع بين إرادتين. فقد كان يعني ما يقول. إنه يريد ان يستعمل كل ما يملك من حيل ومهارة في سبيل ان يأخذها بين ذراعيه. وشعرت للحظة، بالدوار لمجرد هذه الفكرة. ولكن فكرة ما، ما لبثت ان ومضت في ذهنها لتبعث قشعريرة باردة في جسدها. لماذا يكلمها الآن برقة بعد ان ابدى

لها قبلا كل ذلك الجفاء؟ هل لانها جرحت كبريائه بما قالته له من قبل؟

فجأة سحبت نفسها من بين ذراعيه دون وعي منه وهي تقول: «لقد قلت كلا وأنا أعني هذا تماما. يا جيمس. هل في كلامي هذا ما يصعب فهمه؟ ام انت ايضا تعاني ما يعاني منه رجال كثيرون وهو... الصمم عند اللزوم؟»

ضحكت بمرارة وهي تتابع: «اظنك دهشت لذلك. لماذا؟ ألم تتصور ان أي رجل آخر قد يكون استعمل معي نفس الطريقة؟ ولكن، كلا بالطبع. ليس بالنسبة الى سارة مارشال المسكينة. المعلمة العانس. ما الذي تعرفه هذه عن الرجال؟ ارى انك كنت تظن انك أسديت إلي معروفا الليلة الماضية. أليس كذلك؟ لكي تمنحني بعد الذكريات لأختزنها لشيخوختي.»

ضحكت مرة اخرى بشيء من الهستيريا. وعضت على شفتها وهي تهز رأسها بعد ان ابدى حركة كمن يريد ان يمسك بها. وقالت: «كلا. لا اريدك ان تلمسني. لقد استمتعت الليلة الماضية. إذن. فلنعتبر اننا متعادلان. أليس كذلك؟ ولننته من كل هذه المسألة القذرة بشيء من الكرامة.»

استدارت لتفتح الباب لتدعه يخرج قبل ان تنهار كليا. ولكن لم يبد عليه انه ينوي الخروج.

قال: «لم يكن لكل هذا ان يحدث لو انك تصديت للشيء الذي يعاودك على الدوام، يا سارة. ليس في إمكانك ان تستمري في الاختباء من الماضي. لقد رأيت ماذا كان

تأثيره عليك. ليس عليك فقط، بل على آخرين كذلك. وإذا كنا نستعرض الحقائق الآن. فلماذا لا نضيف حقائق اخرى الى القائمة، ثم يصفو الجو مرة. ليشمل كل شيء؟»

اهتزت اصابعها وهي تضغط على الباب بشدة ليبرح بها الألم وهي تقول: «ما حدث لي في الماضي ليس من شأنك.»

قال: «كلا؟» وبسرعة انزعتها. أمسك جيمس الباب ثم اغلقه جيدا وقد تألقت عيناه لحظة التقتا بعينيها. وهو يتابع قائلا: «اريد ان اقول ان ذلك من شأني تماما. فقد كانت ابنتي هي التي أثرت عليها بشكل ما.» ورفع يده يمنعها من الاعتراض: «لاتزعجي نفسك. لقد سمعت كل ما ستقولينه من قبل. وسمعت ايضا ما قالته كاترين عندما سألتها عن سبب هربها. إنني أسلم بأنها لم توضح كل شيء. ولكن، كان من الجلي ان اللوم يقع عليك كما سبق وتوقعت أنا. ولهذا اظن أنني استحق بعض الأجوبة. أليس كذلك؟»

قالت: «إنك لا تستحق شيئا يا جيمس.. لا شيء. إلا إذا كنت تحسب الليلة الماضية نوعا من الأجرة لذلك. ان الماضي هو من شؤوني الخاصة، وليس لك او لغيرك علاقة به.»

بلغ به الغضب حده وقال: «هنا.. انت مخطئة.» وما لبث ان حاول ضبطه وهو يتابع: «لقد اشتركنا في اشياء كثيرة الليلة الماضية. يا سارة. فلماذا تجدين من الصعوبة ان تشاركيني في هذا السر الكبير كذلك؟»

كان في صوته الساخر نبرة تحد اخرجتها عن طورها. لقد لبثت طيلة النهار تحاول ان تهدىء من الامها التي كادت تمزقها. ولكنها الآن تشعر بالحدة. فابتعدت عن الباب. كانت حركاتها مضطربة وقد التوت يداها في ثنايا تنورتها وكأن كل الحواجز قد سقطت اخيرا ليعود الماضي بكل زخمه وكراهية الى الحاضر.

قالت: «إذن، فإنك تريد ان تشارك فيه؟ في ماضيّ انا. أليس كذلك يا جيمس؟ تريد ان تعلم ما الذي جعلني هذه المرأة التي أنا في الآن؟» واطلقت ضحكة فارغة دون ان تعي مبلغ اجفاله من مقدار المرارة في ضحكتها تلك وهي تتابع: «ما الذي جعل الآنسة مارشال تصبح هذه العانس الظريفة؟ آوه، دوما كنت اسمع مثل هذه التساؤلات ولكنني لم أجب عنها حتى الآن. ولكن، ربما كنت محقا في أن هذا هو الوقت المناسب لإيضاح الأمور.» ورفعت عينيها تقابل نظراته. كان وجهها شاحبا إنما هادئا لدرجة غريبة وهي تتابع: «لقد اغتصبت عندما كنت في العشرين من عمري. هذا هو السر الذي كرهت ان اشارك احدا فيه. ولهذا، يمكنك ان تستمتع بهذا الشرف...»

تمتم: «سارة... إنني...»

إنها لم تر جيمس من قبل بمثل هذا العي في النطق. لقد بدا وكأن ضربة قد اصابته. كان العبوس يكسو وجهه وعيناه من القتامة بحيث صعب عليها رؤية ما فيهما من تعبير. بماذا كان يفكر؟ يشعر؟ بالاشمئزاز، بالشفقة،

بالازدراء؟ لم يكن لديها أي فكرة ولا رغبة في ان تعلم. قالت بهدوء: «وماذا عنك؟ هل انت مسرور لأنني اخبرتك؟ شاركتك بهذا السر؟ أم تريد ان تعرف التفاصيل المثيرة؟ حسنا. انني اسفة جدا يا جيمس. ولكنني اظن ان هذا هو كل ما انت في حاجة الى معرفته.» سكتت فجأة وهو يجتاز المسافة القصيرة التي تفصلهما. ليمسكها بكتفيها ضاغطا بأصابعه وهو يقول: «هذا يكفي. إنني لا اريد تفاصيل.» وهزها مرة واحدة. ثم نظر الى يديه اللتين كانتا تمسكان بكتفيها. وما لبث ان أرخى قبضتيه وهو يبتعد متخللا شعره الأسود بأصابعه وكأنما شعر فجأة بالخوف من لمسها. لماذا؟ هل لأنه عرف الحقيقة، فلم يعد يحتمل التفكير في لمسها؟

اغرورقت عيناها بالدموع. مشت الى النافذة تنظر دون ان ترى شيئا. وهي تتمنى، كما تمنت من قبل، لو ان في إمكانها محو الماضي. ولكن، هل كان في إمكانها ذلك؟ هل يمكنها تغيير ما حدث؟ لقد تعلمت فقط ان تعيش مع ماضيها ذاك و لكن هذا صار يبدو الآن أكثر صعوبة.

«إنني اسف يا سارة.» وبعثت نبرات صوته الألم في نفسها. شدت قبضتيها حتى غرزت أظافرها في راحتيها. وذلك لكي تتمالك ما قد بقي من أعصابها. هل قصت بكلامه أنه كان أسفا لما حدث، أم لجعلها تخبره عنه؟ انها لم تعرف... حتى عندما سمعت صوت الباب يفتح. لم تحاول ان تسأله. لقد تركته يرحل دون كلمة إذ لم تستطع ان تفكر بكلمة تقال لكي تستوقفه.

الفصل الحادي عشر

«أريد ان اشكركم جميعاً لاجل الحفلة والهدايا و... حسنا، لاجل كل شيء.» وأخذت ستيفاني جاكوب توزع ابتساماتها بين المجموعة. ثم مسحت دمعة سالت على خدها وهي ترفع كوبها قائلة: «نخب المدرسة والفتيات وخصوصا سارة التي شجعتني على ان اترك العمر بعد ان تحدثنا عن ذلك طويلا.»

ابتسمت سارة وهي تشارك بقية المعلمات في رفع كوبها. كان الشراب باردا وهي تأخذ منه رشفة. وفجأة، تركت الكوب على المائدة واستدارت لتنظر من النافذة. ولكنها لم تستطع رؤية الكثير من تلك المنطقة الريفية التي كانت تمتد الى مسافة بعيدة وراء ملاعب المدرسة. لقد رأت الجبال والسهول التي كانت تتألق بلون شروق الشمس. انها لم تتناول شرابا منذ الوقت الذي امضته مع جيمس في جبال البيرينيه. والآن، ها هي ذي الذكريات التي حاولت طردها من تفكيرها، تندفع الى ذهنها مرة اخرى.

جاءها صوت ستيفاني التي تركت المجموعة لتأتي وتقف قربها لتقول: «سارة، هل انت بخير؟»

كان يبدو على وجهها الكدر. حاولت سارة الابتسام وهي تقول: «طبعا. إنها فقط أحلام اليقظة لا غير.»

قالت المرأة الشابة: «هل هي عن جيمس مالك أليستر؟»

ابتسمت وهي ترى دهشة سارة وتابعت قائلة: «لا تتذكري ذلك يا سارة. لقد أصبحنا، انا وأنت صديقتين في الاسابيع الاخيرة. وقد لاحظت كيف كنت تمضين اوقاتا غير عادية وكأنك تتذكرين اشياء تؤلمك. هل وقعت في غرامه عندما ذهبتما معا تفتشان عن كاترين؟»

اومأت سارة برأسها قائلة وقد توترت ملامح وجهها: «نعم... إنني... إنها حماقة، أليس كذلك؟ اعني بالنسبة الى امرأة في مثل سني يجب ان تعرف...»

قالت ستيفاني: «السن ليس لها علاقة بذلك. ان الذي لم استطع ان افهمه هو، لماذا لم تتبعي انت ما نصحتني به عندما كنت احاول ان اترك وظيفتي لأتعرف الى شيء من العالم؟ لقد أخبرتني ان اتطلع دوما الى المستقبل لكي لا اجد نفسي في وضع ندم فيه على عدم القيام بشيء ما. وتبدو هذه نصيحة ضيبة مثل حالتك هذه ايضا.»

قالت سارة: «ماذا تقترحين إذن؟ ان اتصل به هاتفيا لأخبره انني غارقة في حبه بجنون؟» وهزت رأسها. كان شعرها البني اللامع يتألق في اشعة الشمس المتدفقة من النافذة. وهي تتابع: «لا اظن ذلك! ان جيمس لا يهتم بي مثقال ذرة.»

قالت ستيفاني وقد لمعت عيناها الزرقاوان بالرغبة في الكفاح: «احقا ذلك؟ لماذا عدل إذن عن نقل كاترين من المدرسة؟ ولماذا لم يحقق عزمه في ان تطردي من المدرسة؟ وتقولين انه لا يهتم بك؟»

www.rewity.com RAFAHEENA

قالت سارة بعنف: «ربما هو لا يظن ان الأمر يستحق ذلك وبالنسبة إلى تركه كاترين هنا. فأنا أتصور أن لكاترين دخل في ذلك. فهي مستمتعة بصحبة زميلاتها هنا. ولا بد انها رفضت تغيير مدرستها.»

قالت ستيفاني ساخرة: «وأنت أحببت ان تتصوري ان جيمس نفس الشخص الذي بدا لي انه لا يعتبر ولا يقبل أي رأي آخر عدا رأيه في حياته. هذا الرجل ينحني أمام تمنيات فتاة في الخامسة عشرة من عمرها.» وهزت ستيفاني رأسها لينتاثر شعرها الأسود على وجهها، ودفعته الى الوراء بضجر: «لا تفسير لهذا إلا انه فعل كل ذلك لأجلك، يا سارة، لأنه يهتم بك فعلا.»

عبست وهي تسمع رنين الجرس ينبئ بابتداء دروس بعد الظهر. وقالت: «حسنا. فلنعد الى عملنا. ما زال أمامي ثلاثة صفوف، لكي انتهي من هذا كله. ولا تعليم بعد الآن. إذا تحققت الأمور كما خطط لها. ولكن، عديني يا سارة، انك ستفكرين في ما تحدثنا عنه. لا تخافي من متابعة ما تريدينه. فإن الحياة قصيرة.»

ذهبت قبل ان تستطيع سارة الرد. وتحولت عن النافذة ببطء، وهي تتمنى لو كانت الامور بمثل هذه السهولة التي تظنها ستيفاني. وتصورت ردة الفعل عند جيمس وهي تتصل به هاتفيا لتعترف له بحبها وأن الحياة من دونه لا تساوي شيئا لديها. إنه إما ان يقتلها بسخريته الباردة، وإما ان يضحك منها... وهي لا تستطيع احتمال الأمرين. لقد مضى الآن ثمانية اسابيع على آخر مرة

رأته فيها. ثمانية اسابيع طويلة موحشة لم تخفف من آلامها. كل ما تريده الآن هو ان تعيش حياتها بأفضل ما تستطيع. يساعدها على احتمال ذلك، ذكريات الأيام القليلة التي امضياها معا.

كانت فتيات صف السنة الثالثة في مرح ومرح في حمى العطلة القادمة. مما وجدت سارة مشقة بالغة في الاحتفاظ بانتباههن، وذلك بتقسيمهن جماعات يعملن في الكلمات المتقاطعة التي أمضت معظم ساعات المساء السابق في تقسيمها. تجاهلت الهمسات والضحات بينهن إذ كانت تتفهم مبلغ شعورهن بالشوق لاقتراب العطلة الصيفية وإن كانت هي لا تشاركهن شعورهن ذاك، ذلك انها يمكنها ان تشغل ذهنها اثناء التعليم، ولكن التفكير في الأيام الفارغة الآتية اشعرها بما يقرب من اليأس. وأغمضت عينيها تخفي ألمها. لتفتحهما فجأة وهي تشعر بباب غرفة الصف يفتح.

«جيمس!» هل كان هو صوتها حقا الذي لفظ إسمه؟ نظرت عبر مصيدة وقد توقفت أنفاسها... هل كان هو جيمس حقا واقفا هناك عند الباب؟ وهزت رأسها وهي تتساءل عما إذا كان استغراقها في عملها ذاك، قد وضع هذا التصور في ذهنها. ولكن، عندما تكلم، عرفت انه هو حقا...

قال: «اريد ان التكلم معك يا سارة.»

انه تماما كما كان في الأيام الخوالي... وفي صوته نفس اللهجة الباردة المتعجرفة ونفس الثقة بالنفس

وقفت سارة تبدله النظر بوجه بارد وهي تهز رأسها قائلة: «عدا عن ان لا مواضيع بيننا لنتحدث فيها، فإن هذا الوقت غير مناسب لذلك. فهذا وقت إعطائي الدرس، يا سيد جيمس. ولهذا أكون شاكرة لك جداً إذا خرجت.»

قال: «مرة أخرى» اظنني تعودت ان تطلبي مني الخروج، يا سارة. وإذا لم تحاذري يمكن ان يسبب لك الازعاج.»

ونظر الى ما حوله متطلعاً في وجوه الفتيات اللواتي استدرن نحوه بفضول متخليات عن حل رموز الكلمات المتقاطعة في غمرة هذا الحدث غير العادي.

قال: «حسناً من منكن انتهت من ورقتها هذا؟»

رفعت إحداهن يدها في مؤخرة الصف، قائلة: «انا يا سيدي.»

قال: «حسناً. انك المسؤولة عن الصف الى حين عودة الآنسة مارشال. مفهوم.»

«جيمس»، لم تنطق سارة الآن اسمه بذلك النغم المقموع، وان كان ثمة غضب بالغ لتحسرقه ذات. وتابعت: «ليس عندي فكرة عن السبب الذي يجعلك تأتي الى هنا لتبدأ بإلقاء الأوامر. ولكن دعني أخبرك بأنني لا استطيع الصبر على ذلك. والآن، اخرج من فضلك.»

قال: «لا اظنني سأفعل. لقد اخفقت في الخروج مرة من قبل وليس في نيتي ارتكاب نفس الخطأ مرة اخرى.»

ونظر الى ما حوله، ثم سار بهدوء الى كرسي خال وجلس عليه وهو يتابع قوله: «سأنتظر هنا الى ان ينتهي

الدرس وتتحدثي معي يا سارة. يمكنك ان تتابعي عملك وكأنني لست هنا.»

لو أنها فقط تستطيع ان تتظاهر بأنها ليست في نفس الغرفة. وبهذا القرب منه بحيث لا يستلزم سوى عدة خطوات لكي تلمسه. أحست بالخدر في أصابعها رغبة في تلمس يديه. جلست فجأة شاعرة بالهزيمة. ذلك انه لا الوقت ولا المكان كانا مناسبين لأن يقود، عادة، الى احدى مشاجراتهما المتكررة. والتفتت الى الفتيات تقول: «حسناً، يا فتيات. يمكنكن متابعة العمل. وأي واحدة تجد نفسها مقصرة يمكنها ان تسأل. إذ قد توجد كلمة او اثنتان في القطعة غير مألوفة لديكن.»

وسرّت سارة وهي تلمس ثبات صوتها على الرغم من شعورها وكأن شيئاً في الجو يسبب لها الاختناق البطيء. انها تشعر بجيمس يراقبها... تشعر بنظراته تلك وكأنها تلمسها بيديها.

ارتفعت عيناها الى حيث كان يجلس. لتشعر بقلبها يتوقف عن الخفقان للحظات وهي ترى الرقة والدفء يكسوان ملامحه. وبدا وكأن الوقت توقف حين تلاقت انظارهما لحظة. عند ذلك. وجهت إليها احدى الفتيات سؤالاً. ليعود كل شيء الى ما كان عليه. وكان السؤال: «رقم ثلاثة. افقيا. يا انسة مارشال منطقة جبلية تشكل حدوداً طبيعية. إننا لم نعرف ما هي. هل يمكنك اعطاءنا إشارة أوضح لذلك؟»

لماذا وضعت هي هذا في الكلمات المتقاطعة؟ هل كانت

افكارها مركزة الى جيمس بحيث انها لم يكن في استطاعتها محوه من ذهنها حتى اثناء العمل؟

اجابت «إنني ...» ولم يمكنها الشعور بالحرج من العثور على الكلمات المناسبة بعد ان نظرت عبر الغرفة لتراه يبتسم. لقد عرف انها لم تتمكن من نسيانه ونسيان ما كان بينهما. قال «جزيي البيرينيه، لا بد ان تكون هي الكلمة المناسبة. اظن هي الكلمة التي كانت الآنسة مارشال تفكر فيها حين وضعت لوحة الكلمات المتقاطعة.»

حمل صوته العميق ثروة من المعاني وهو يتكلم. وبعثت لهجته الدافئة رجفة في أوصال سارة. فقفزت في كرسيها ليضطرب وضع الكرسي تحتها وقد تضرج وجهها وهي تسمعه يضحك بهدوء. وقالت «سأكتب على اللوح الكلمات التي قد تجدن صعوبة في تهجئتها.»

اخذت الطبشورة وأدارت ظهرها الى الصف. ولكنها أجفلت حين تكلم جيمس مرة أخرى، وقد بدا صوته أكثر دفئا وهو يقول «هل يمكنك تهجئة هذه الجملة لأجلي من فضلك؟ إنها، انا احبك... بالفرنسية طبعا.»

سقطت الطبشورة من يدها المرتعشة. وبحركة تلقائية انحنت سارة لتلتقطها وهي تشعر بالدم يتدفق الى رأسها.

جاءها صوته يقول الجملة ذاتها بالفرنسية وهو يضيف «هذا إذا لم أكن مخطئا. أليس كذلك يا آنسة مارشال؟» ضحك بهدوء، وقد تركزت أنظاره على وجهها

المتضرج. متابعا «إنني لست متأكدا من صحة اللفظ. ربما يمكنك ترديدها قبل ان تكتبيها على اللوح.»

لماذا كان يفعل ذلك؟ لماذا يتعمد ان يجعل الأمر يبدو وكأنه يريد ان يقول إنه يحبها؟ أمسكت الطبشورة بين أصابعها، وهي منتبهة الى ان الفتيات يستمعن الى كل كلمة تقال. ثم قالت «ان هذا صحيح تماما، يا سيد جيمس. ليس ثمة خطأ في لفظك.» كان صوتها خشنا يفضح اضطرابها.

ابتسم برقة وقد التقت نظراته الهادئة بنظراتها وهو يقول «ما زلت غير مضمن منة في المنة الى سلامة لفظي. فهل لك يا آنسة مارشال ان تتفضلي بقول هذه الجملة لكي اتثبت منها؟»

هل كانت هذه لعبة منه أم انها طريقة جديدة لتعذيبها؟ لم يكن لديها فكرة.

فجأة، لم تعد تهتم بشيء. وهي تنقرس في وجهه عبر الغرفة. إنها تحبه! ولا يهم اللغة التي تعبر فيها عن حبها هذا. فالنتيجة تبقى هي هي. والروعة في نفسها ما دامت تقولها له. وقالت بالفرنسية «إنني أحبك.»

ما كاد يسمع صوتها في جو الصمت الذي ران فوق الفتيات. وأخذت نفسا قصيرا وهي تشعر بقلبها يخفق بعنف وهي تردد بالفرنسية ببطء «إنني احبك يا سيد ماك أليستر.» قالت ذلك وهي تنظر إليه وقد تجلت أحاسيسها في عينيها.

بدا عليه وقد توقفت أنفاسه وقد ظهر على ملامحه التوتر

الذي يقترب من الألم قبل ان يسترخي فجأة، ثم يبتسم. كانت ابتسامة تحوي من الدفء، بحيث اشعرتها باختفاء كل ما كانت تشعر به من برود. وقال بالفرنسية: «إنني احبك يا انسة مارشال. كيف ترين لفظي؟»

قالت: «إنني... انت... رائع. رائع تماما.»

قال وهو يقف متجها نحوها: «رجوت ان يكون ذلك.» وأخذ من يدها الصينية ورماها جانبا قبل ان ينظر الى فتيات الصف اللواتي كن جالسات باستكانة. وقال: «والآن، ايتها الفتيات، انني أعلم انه يمكنني الاعتماد عليكن في حسن التصرف بينما أتبادل حديثا مختصرا مع الآنسة مارشال. وأرجو منكن عدم خذلاني.»

مد يده يأخذ سارة من ذراعها خارجا بها من الغرفة ثم اغلق الباب وراءهما قاطعا بذلك الاحاديث التي تفجرت بين الفتيات.

قال: «إننا في حاجة الى مكان نتحدث فيه يا سارة.»

قالت وهي تطرف بعينيها متسائلة عما اذا كان هذا حلما: «إنني...»

لا يمكن ان يكون هذا حقيقة... لا يمكن ان يكون جيمس هنا حقيقة، خارجا بها من غرفة الصف.

عاد يقول: «نريد مكانا منعزلا يا سارة لكي يمكنني ان اقول ما في نفسي.» كان صوته خشنا وفي عينيه معنى لا يمكنها إغفاله ما لم تكن عمياء.

قالت: «هذا جنون يا جيمس. ليس في إمكانك ان تأتي هنا وتخرجني من الصف. ان الفتيات في حاجة إلي.»

قال: «ليس بقدر نصف ما انا بحاجة إليك، يا حلوتي.» وأدارها في مواجهته وهو يقول: «لقد اقترفت غلطة يا سارة إذ تركتك في تلك الليلة. لقد ندمت على ذلك في كل دقيقة منذ ذلك الحين. ولن أدع ذلك يحدث مرة اخرى. إنني احبك يا سارة. وأريد منك ان تعطيني فرصة ثانية لكي أشرح لك سبب تصرفي ذاك. في ذلك الصباح. ولماذا تركت غرفتك تلك الليلة. أخبريني إذن عن مكان نذهب إليه لنتحدث وإلا فإنني أقسم على ان أتسلم مقاليد الأمور بيدي.»

نظر حوله في الممر الهادئ، مبتسما وهو يقول: «ماذا تظنين وليستت ستقول إذا هي علمت ان إحدى الموظفات عندها يعانقها حبيبها في ممر المدرسة.»

قالت مصعوقة: «جيمس... إنك لا تعني... إنني... هل تعني ذلك حقا؟ هل تحبني حقيقة؟»

نظر إليها بعينين عميقتين وقال: «إنني أحبك، يا سارة... صدقيني انني احبك. ولا أفكر بشيء أكثر من أن اثبت لك كم أحبك.»

نظرت إليه وقد أصاب رأسها الدوار.. لم تستطع ان تستخلص شيئا من شيء. جيمس يحبها! غير ممكن ان يكون هذا صحيحا... وإلا، فإنه الاستجابة لكل دعائها.

بدا أنه فهم التشوش الذهني الذي تتخبط فيه فابتسم وهو يقودها الى حيث سيارته كانت تقف. وقال: «ادخلي، يا عزيزتي. سنذهب الى حيث يمكننا التحدث.» أغلق

www.rewity.com

باب السيارة. واستدار ياخذ مكانه خلف المقود.
قالت:«اننى.. إلى أين نحن ذاهبان يا جيمس؟»
أجاب:«لفترة قصيرة فقط على ضفاف النهر. ان المكان هادىء هناك وبعيد عن الاعين الفضولية.» وأومأ ناحية المدرسة وهو يدير المحرك. ضاحكا من شهقة سارة التي أدركت فجأة ان أكثر بنات صفها كنّ يراقبنهما من النافذة.
هتفت:«كلا... ما الذي سيفكرن به؟»
قال:«أظن انهن سيفهمن تماما يا سارة. وحسب خبرتي فإن الفتيات المراهقات يفهمن بالإشارة.»
هذا ما يقلقني. فانا لن اكون مثالا طيبا لهن. أليس كذلك؟»
استدار بالسيارة خارجا من الطريق ليتوجه ناحية النهر. ثم قال:«بصراحة يا سارة. لا يهمني مطلقا أي مثال تعطيه لهن. ان أمرهن لا يهمني. انت فقط مدار اهتمامي.»
قالت سارة:«لم أكن لأحلم ابدا ان هذا قد يحدث. لقد ظننت ان كل ما بيننا قد انتهى. خصوصا بعدما اخبرت به تلك الليلة.»
قال:«لقد ظننت انا هذا بدوري. إنما ليس لنفس الذي ذكرته أنت.» نظر في عينيها مباشرة وهو يتابع:«ان مسألة اغتصابك لم تؤثر على شعوري نحوك. يا سارة. ربما جعلتك تظنين ان هذا قد حدث عندما تركتك فجاة. ولكن كل ما استطيع قوله هو انني صدمت لهذ

التصريح. ثم شعرت بالندم للطريقة التي تصرفت فيها نحوك الى حد لم أعرف كيف أعالج الأمر. كنت أتمنى لو كنت اخبرتني بذلك من قبل وإلا لما كنت عاملتك بتلك المعاملة القاسية.»
قالت:«كلا. لقد كان الحق معك في هذه المعاملة.» ابتسمت بحزن وهي تضيف:«كما كنت محقا في اتهامك لي ببرود الأحاسيس. لقد سمحت لنفسي بأن اتخذ هذه الطريقة لأنها تناسب الحياة التي صممت على ان اعيشها بعد ان وضعت كل شيء وراءي.»
قال وهو يمسك بيدها:«هذ قول سهل ولكن تنفيذه صعب. انني اتصور كم عانيت يا سارة.» وسكت قليلا ثم سألها:«هل تستطيعين ان تخبريني كيف حدث هذا الأمر يا سارة؟ ام ان ذكر هذا ما زال يؤلمك؟»
قالت:«كلا.. انه لم يعد يؤلمني. انني لم انس ذلك ابدا. ولكن ذكراه لن تسيطر على حياتي بعد الآن. كما كانت في السنوات الماضية.»
بدت في عينيها نظرة ساهمة وقد شرد ذهنها عبر السنوات وتابعت قولها:«لقد كنت قد اتممت العشرين من عمري عندما حدث ذلك. في سنتي الثالثة الجامعية. وفي قمة سعادتي بالحياة قتل والداي في حادث سيارة وهما في طريقهما الى زيارتي في عطلة نهاية الاسبوع. لقد أصبت عند ذلك. بانهيار تام. كنت إبنتهما الوحيدة مما جعلني ملتصقة عاطفيا بهما تماما. فكان فقداني لهما معا بهذا الشكل. حدثا مريعا. وتأخرت نتيجة

هذا في دراستي. عند ذلك، عرض علي احد المعلمين ان يعطيني دروسا إضافية لتعويض ذلك التقصير.»
وضحكت بمرارة دون ان تنتبه الى وجه جيمس الذي توترت ملامحه غضبا. وتابعت: «يبدو ان الدروس لم تكن كل ما في رأسه! وقد كنت انا متأخرة جدا عن زملائي. لذا شعرت نحوه بالامتنان. بدا عليه النبهة لمساعدتي. وهكذا، عندما دعاني الى تمضية عطلة نهاية الأسبوع في منزله، قبلت الدعوة حالا.»
نظرت الى جيمس لتدرك للمرة الأولى، ان هذا السرد كان مؤلما له قدر ما كان مؤلما لها. وقالت: «هل أتابع ام اتوقف هنا؟»
هز رأسه قائلا: «اريد ان أسمع كل شيء يا سارة. هذا إذا شئت ان تخبريني. انني اريد ان اضع كل شيء وراءنا مرة واحدة والى الأبد.»
اومأت برأسها وقد فهمت ما يعني ان هي أخبرته بكل شيء. فإن كل تلك الروابط بالماضي ستنحل من ذاتها. واستطردت: «لقد... لقد كان متزوجا ولهذا ظننت ان قبولي لدعوته ليس فيها ما يضير. ولكنه لسوء الحظ اغفل اخباري ان زوجته لن تكون موجودة. إنني لن أطيل في سرد التفاصيل. ولكن عندما عرفت الحقيقة، كان قد فات الأوان. لقد... لقد اغتصبني في منزله.» وضحك مني عندما أخبرته انني سأشكوه الى الشرطة. وقال ان ليس ثمة احد يصدق انني لم اكن موافقة على ذلك، والنتيجة ان يتلطخ اسمي في الوحل.» امتلأت

عيناها بالدموع وهي تتابع: «وفي النهاية، لم أخبر احدا، يا جيمس. وهكذا نجا هو من العقاب لخوفي ذاك.»
قال جيمس: «لا تلومي نفسك يا سارة. من يعلم ماذا كان يمكن ان يحدث؟» ضرب قبضته على حاجز السيارة وقد بان في وجهه الاجرام وهو يقول: «أتمنى لو أمسك به لأجعله يدفع ثمن ما فعل بك.»
اغمضت عينيها وقد شعرت بخوف مفاجئ. ثم قالت: «لقد كنت دائما اخاف ان يكتشف احد الأمر... انك لم تشمئز مني تلك الليلة عندما اخبرتك. أليس كذلك يا جيمس؟ اريد ان اعرف الحقيقة.»
قال وقد كسا الألم ملامحه: «كلا.. أهذا ما ظننت؟ لم يكن الأمر كذلك. إنني لا استطيع تفسير ما شعرت به حينذاك. لقد كان مزيجا من الصدمة والغضب والاشمئزاز من نفسي لأنني حملتك على ان تخبريني بأمر كان واضحا انك تخجلين من ذكره. ولكنني لم أشك في صحة ما اخبرتني به قط. ومن ناحية اخرى فقد فسر هذا كل تصرفاتك والأسباب التي دفعت امرأة رائعة الجمال مثلك الى إخفاء جمالها هذا.»
قالت: «امرأة رائعة الجمال؟ أنا؟»
ابتسم قائلا: «لا تتعجبي هكذا. لقد فتنت بك منذ أول مرة رأيتك فيها في يوم اجتماع الآباء. لقد كنت حلوة بشعرتك الرقيقة وشعرك الناعم مع انك اجتهدت في إخفاء جمالك.» ومد يده يتخلل شعرها بأصابعه وهو يتابع: «كم تمنيت ان أمسك شعرك هذا بيدي مرة أخرى.

لقد كنت اتالم كلما تذكرته منشرا على وسادتي ذلك الصباح.»

قالت: «حقا؟ لقد ظننتك نائما ذلك الحين، عندما استيقظت من النوم.»

قال: «لقد تظاهرت بذلك، ولكنني كنت قد استيقظت قبلك بساعات، بقيت مستلقيا انظر اليك.»

قالت: «وماذا لم تقل شيئا؟» بان في عينيها الالم وهي تسأله: «وماذا تصرفت معي بمثل تلك القسوة في الغابة؟ لقد... لقد ظننت انك... انتهى الأمر بيننا.»

قال: «ذلك ما كنت املا ان يكون.» وابتسم وهو يراها تشهق عجبا وتتابع بقول: «ولكن هذا يثبت كم يخطئ الرجل احيانا. لقد تعمدت القسوة ذلك الصباح لانني لم اكن واثقا من عواطفي. كنت املا ان ينتهي الامر، ولكنني استيقظت ورايتك فعرفت ان الامر لن ينتهي بهذا الشكل. لقد كنت خائفا يا سارة. وهذه هي الحقيقة.»

قالت: «كنت خائفا؟ ومم؟»

قال: «خائفا منك.» ضحك عاليا وهو يتابع: «كنت خائفا لانني ادركت انني سأقع في غرامك. فالامر لم يعد مجرد جاذبية. لقد سبق وأقسمت عندما ماتت زوجتي ان لا أسمح لنفسي بان اقع في ذلك الحب مرة اخرى. فخ الحب. ولكن، عندما أدركت انني وقعت اخيرا أصابني الهلع في أعماقي.»

قالت: «لا بد انك احببتها كثيرا.» ولم تستطع ان تقاوم الالم الذي شعرت به لدى هذه الفكرة. وسمعته يتنهد

قائلا: «لن أكذب عليك، فقد أحببتها. ولكن الذي شعرت به نحو روث كان في الماضي، وقد أصبح الآن مجرد ذكرى، ولا دخل له في ما شعر به نحوك. لقد جعلني ذلك أخاف من مواجهته مرة أخرى. لقد سبق وأقسمت، كما أخبرتك، ان لا أسمح لنفسي بحب امرأة أخرى، لأفقدها بعد ذلك. ثم، جئت انت وكدت تدفعينني الى الجنون إذ صرت تجادلينني في نوع معاملتي لكاترين، وبجاذبيتك المثيرة ورقتك الفائقة. لقد أدركت منذ البداية انك ازعاج لي. وكنت على حق. فانت إزعاج كبير يا انسة مارشال.»

نظرت اليه باستياء ساخر وهي تقول: «حسنا. شكرا جزيلا.» وابتسمت فجأة متابعة: «لا أظن انني نلت أجمل من مدائحك لي مثل عانس.. الانسة مارشال الرصينة، الإزعاج الكبير!»

قال: «همم.. لا أظن ان تلك النعوت ستصبح حقيقية قبل وقت طويل. الآن، وقد تشجعت اخيرا على التسليم بحقيقة مشاعري، فإنني لا أنوي ان أدع اسمك انسة مارشال لمدة طويلة.»

تنفست سارة بعمق، وعدت الى العشرة قبل ان تقول: «اتعني انك تعرض عليّ الزواج؟ دع عنك هذا.»

قال: «ماذا؟»

قالت: «لقد سمعتني يا سيد مالك اليسترا فإذا كان هذا مفروضا ان يكون عرض زواج، فهو إذن عرض سطحي، فإما ان تحاول مرة أخرى، او تدع عنك هذا الامر.»

WWW.rewity.com
ARRYAHEEN

جذبها إليه بشد ذراعيه حولها وهو يقول: «لك ستتزوجين مني. أليس كذلك يا سارة؟ لن استطيع الحياة بدونك. لقد كاد يصيبني الجنون اثناء الاسابيع الماضية وأنا احاول إقناع نفسي بأن من الافضل ان امضي حياتي من دونك. ولكن ذلك كان كذبة كبرى. إنني في حاجة إليك يا سارة.»

ابتسمت له وقد شعرت نحوه بحب تعجز عن وصفه الكلمات. وقالت: «هل هذا ما تريده يا جيمس؟»

قال: «نعم. انني احبك يا سارة وأريدك في حياتي الى الابد.»

همست برقة: «وأنا أحبك ايضاً ولا اريد شيئاً سوى ان اعيش معك طوال حياتي.» سكتت فجأة وقد انتابتها فكرة اقلقتها وقالت: «وماذا عن كاترين؟ اتظنها ستقبل فكرة ان اصبح زوجة ابيها؟»

قال: «انها مسرورة جداً.» ضحك وهو يرى عبوسها وتابع: «لقد اتصلت بها هاتفيا الليلة الماضية واخبرتها انني سأحضر الى هنا ولن أعود قبل ان توافقي على الزواج مني. فقالت ان الوقت قد حان لكي اجعل من الآنسة مارشال امرأة مهمة.»

قالت: «ماذا جيمس؟ انك لم تخبرها أننا... اننا...»

قاطعها: «اننا امضينا ليلة معاً؟ كلا يا حلوتي. ليس بالتفصيل. على كل حال لقد كبرت كاترين وشكراً لهربها ذاك. واظنها استطاعت بسهولة ان تجمع بيننا.»

قالت: «كيف لي ان ارفض طلبك للزواج مني إذن. انني

في هذه الحالة سأكون مثالاً سيئاً لها. لقد تكلمت معها عما حدث. ولكنها لم تخبرني اكثر من انها ادركت أنها اقترفت غلطة. ومن حسن الحظ انها كانت من الإدراك بحيث قالت ذلك لفيليب، وربما هذا يفسر تصرفه عندما تركها في لاشون عندما اعترضت أمه على ابقائها في منزله.»

ارتجفت ريقها وقد شعرت فجأة بالخوف من ان تفسد سعادتهما. وتابعت تقول: «إذا كان ثمة لوم يقع عليّ يا جيمس، في ما حدث، فإنني آسفة.»

قال: «نعم.» وضحك عندما سمعها تشهق. وعاد يقول: «وكذلك انا. يا سارة، لقد تبادلت مع كاترين أحاديث طويلة مؤخراً. ابتداء من عودتنا الى انكلترا من باريس. لقد كانت قد كونت عني فكرة انني لا أهتم بها لأنني دوماً مشغول بأعمالي. ولقد صدمني هذا... إنني... إنني لم أكن أدرك ما الذي كنت بسببه. ولكنني جعلتها تفهم بأنني أحبها كثيراً. وفي النهاية كان الأمر بسيطاً.»

قالت: «انني مسرورة لجلاء كل شيء. ولكن، كيف أنني تسببت في ما حدث. هل كان ثمة شيء قد قلته؟ إنني إذن لن اسامح نفسي ابداً إذا كان اللوم يقع حقاً عليّ.»

قال: «في الحقيقة، لقد كان شرحاً قمت به اثناء درس الفرنسية. وقد قلت انت ان الحب هو أهم المشاعر الإنسانية، وانه شيء نفيس يجب ان يتقدم كل شيء

آخر. ولا بد ان هذا الكلام كان له وقع قوي في نفسها إذ كانت تمر بمرحلة تعسة حين كانت تظنني لا أهتم بها. واتخذت من هذه المشاعر حجة للهرب مع فيليب. فقد كانت تظن أنه يحبها. ولكن، لسوء الحظ، او لحسن الحظ، وجدت ان الأمر لم يكن كذلك الى ان جاءت النهاية سليمة. وأظن ان ما حدث قد لقن كاترين درسا لن تنساه ابدا.»

قالت «أوه يا جيمس، لم أكن أظن ابداً ان كلاما غير مؤذ مثل الذي قلته في الدرس، يمكن ان يسبب مثل هذه النتيجة. لا بد ان أكون حذرة في المستقبل.»

قال «ولكنني اخشى ان هذا يعود الى التلميذ نفسه. تقولين ان الحب هو قبل كل شيء» وابتسم لها متابعا «اظنني سأستمتع بدرس كهذا، يا معلمتي.»

قالت وقد احمر وجهها «اظنك انت الذي كنت استاذا في هذا الأمر.»

قال «اتظنين ذلك؟»

ابتسمت سارة وهي تنظر في عينيه مفكرة في أنها ستكون في حاجة الى دروس كثيرة تتعلمها من جيمس، حبيبها الأول والأخير.

تمت

www.rewity.com
^RAYAHEEN^